

القول السديد في شرح شروط كلمة التوحيد

«لا إله إلا الله»

إعداد

ماجد بن سليمان الرسي

شوال ١٤٣٣ هـ

مقدمة

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، أما بعد:
فإن الغاية التي من أجلها خلق الله الجن والإنس هي أن يعبدوه وحده ولا يشركوا به شيئاً ، قال تعالى ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ ، والعبادة تشمل كل ما يحبه الله ويرضاه ، من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة.

«فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد الكفار والمنافقين ، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك ، والإحسان إلى البهائم ، والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة.

وكذلك حب الله ورسوله ، وخشية الله والإنابة إليه ، وإخلاص الدين له ، والصبر لحكمه ، والشكر لنعمته ، والرضا بقضائه ، والتوكل عليه ، والرجاء لرحمته ، والخوف من عذابه ، وأمثال ذلك ؛ هي من العبادة لله أيضاً»^١.

و ضد العبادة الشرك في عبادة الله ، بأن يجعل الإنسان لله شريكاً يعبده كما يعبد الله ، ويخافه كما يخاف الله ، ويتقرب إليه بشيء من العبادات كما يتقرب لله ، من دعاء وصلاة أو ذبح أو نذر أو غير ذلك.

والكلام في هذا البحث المختصر منصب على شرح الشروط الثمانية لتحقيق كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» ، حيث أن تحقيق كلمة التوحيد في النفس من أهم المهمات ، كيف لا ، ودخول الجنة والنجاة من النار منوط بها؟

^١ نقلاً من «مجموع الفتاوى» لابن تيمية رحمه الله (١٤٩/١٠ - ١٥٠) بتصرف يسير.

والذي استنبط شروط «لا إله إلا الله» هو الشيخ عبد الرحمن بن حسن^١ رحمه الله تعالى ، انظر كلامه في «الدرر السننية من الأجوبة النجدية» (٢٤٣/٢ - ٢٤٤ ، ٢٤٦) ، كما عزاها له الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله ، فقد قال كما في «الدرر السننية من الأجوبة النجدية» (٣٥٠/٢ - ٣٦٢):

«وأما شروطها التي ذكر شيخنا الشيخ عبد الرحمن بن حسن أنه لا بد منها في شهادة «ألا إله إلا الله» ؛ فقال رحمه الله:

لا بد في شهادة «ألا إله إلا الله» من سبعة شروط ، لا تنفع قائلها إلا باجتماعها :
الأول : العلم المنافي للجهل ، فمن لم يعرف المعنى فهو جاهل بمدلولها.

^١ هو الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى ، ولد سنة ١١٩٦ هـ في الدرعية ، نشأ في بيت جده الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ودرس عليه وعلى أعمامه التوحيد والحديث والفقهاء ، كما درس الحديث على بعض المشايخ في مصر ، كالشيخ حسن القويسيني ، والشيخ عبد الرحمن الجبرتي ، والشيخ عبد الله باسودان ، وكذا قرأ على مفتي الجزائر الشيخ محمد بن محمود الجزائري الحنفي الأثري ، وقد أجازته هؤلاء المشايخ بجميع مروياتهم .
كما درس الشيخ عبد الرحمن على مشايخ آخرين في مصر في النحو والقراءات وغيرها .
وقد تتلمذ على الشيخ عبد الرحمن جما غفيرا من الطلبة ، أبرزهم ابنه الشيخ عبد اللطيف .
وللشيخ عبد الرحمن عدة مصنفات ، أشهرها كتابه «فتح المجيد» ، وهو مختصر لكتاب ابن عمه ، الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، «تيسير العزيز الحميد بشرح كتاب التوحيد» ، وله أيضا «قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين» ، وهو حاشية على كتاب التوحيد .
كما ألف الشيخ عبد الرحمن رسائل كثيرة ، وهي ماثولة في «الدرر السننية من الأجوبة النجدية» ، وكذا في «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» .
توفي رحمه الله عام ١٢٨٥ هـ بعد أن أبلى بلاء حسنا في نصرة الإسلام ، ودعوة الناس إلى التوحيد الخالص ، ودحض البدع والشركيات في نجد وغيرها .
انظر ترجمته في مقدمة كتاب «فتح المجيد» بتحقيق أشرف بن عبد المقصود ، والترجمة لحفيده ، الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن حسن ، رحمه الله .

الثاني : اليقين المنافي للشك ، لأن من الناس من يقولها وهو شاك فيما دلت عليه من معناها .
الثالث : الإخلاص المنافي للشرك ، فإن لم يخلص أعماله كلها لله فهو مشرك شركاً ينافي الإخلاص .

الرابع : الصدق المنافي للنفاق ، لأن المنافقين يقولونها ، ولكنه لم يطابق ما قالوه لما يعتقدونه ، فصار قولهم كذباً لمخالفة الظاهر للباطن .

الخامس : القبول المنافي للرد ، لأن من الناس من يقولها مع معرفته معناها ، لكن لا يقبل ممن دعاه إليه ، إما كبيراً أو حسداً أو غير ذلك من الأسباب المانعة من القبول ، فتجده يعادي أهل الإخلاص ويوالي أهل الشرك ويجهم .

السادس : الانقياد المنافي للشرك ، لأن من الناس من يقولها وهو يعرف معناها ، لكنه لا ينقاد للإتيان بحقوقها ولوازمها من الولاء والبراء والعمل بشرائع الإسلام ، ولا يلائمه إلا ما وافق هواه أو تحصيل دنياه ، وهذه حال كثير من الناس .

السابع : المحبة المنافية لضدها .

انتهى ما ذكره الشيخ .»

قال مقيده عفا الله عنه :

انتهى كلام الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله ، وهو مثبت في «الدرر السنية من الأجوبة النجدية» (٢/٣٥٩-٣٦٠) .

أسأل الله تعالى بأسمائه وصفاته العلا أن يوفقنا والمسلمين جميعاً لإخلاص العمل لله وحده ، وأن يجنبنا وإياهم طرق الشرك والضلال ، والله أعلم ، وصلى الله على نبينا محمد ، وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

وكتبه ، ماجد بن سليمان الرسي

الثامن والعشرين من شعبان لعام ١٤٣٣ هجري

هاتف : ٠٠٩٦٦٥٠٥٩٠٦٧٦١

المملكة العربية السعودية

www.saaid.net/book ، majed.alrassi@gmail.com

القول السديد في شرح شروط كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»

فهرست

مقدمة

باب شروط «لا إله إلا الله»

سرد شروط «لا إله إلا الله» الثمانية مع شرحها

براهين «لا إله إلا الله»

شرح شروط لا إله إلا الله

الشرط الأول: العلم بمعناها علما جازما ، وضده الجهل به.

الشرط الثاني: القبول لها ، وضده ردها وعدم الإيمان بما تقتضيه.

الشرط الثالث: الإخلاص فيها ، وضده الوقوع في الشرك.

الشرط الرابع: المحبة لها ولما دلت عليه ، وضده بغض تلك الكلمة.

فصل في أنواع الناس في باب الولاء للمؤمنين ، والبراءة من الكافرين

الشرط الخامس: الانقياد لها ، بفعل الأوامر وترك النواهي.

الشرط السادس: التيقن بها ، وهو كمال العلم بما علما يقينيا ، وضده الشك فيما دلت عليه وتقتضيه.

الشرط السابع: الصدق فيها ، وهو موافقة إيمان القلب بقول اللسان وعمل الجوارح ، وضده النفاق.

الشرط الثامن: الكفر بما ينافيها ، وضده الإيمان بما ينافيها أو بعضه.

استطراد في شرح معنى «الطاغوت»

فصل في فضل ذكر الله بـ «لا إله إلا الله»

خاتمة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، أما بعد:

فإن شهادة «لا إله إلا الله» هي أعظم شهادة في الوجود من أعظم شاهدٍ وهو الله جل وعز ، قال تعالى ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾^١ ، فشهادة «لا إله إلا الله» هي أكمل الشهادات .

«وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له» ، كلمة قامت بها الأرض والسموات ، وخلقنا لأجلها جميع المخلوقات ، وبها أرسل الله تعالى رسله ، وأنزل كتبه ، وشرع شرائعه ، ولأجلها نُصبت الموازين ، ووُضعت الدواوين ، وقام سوق الجنة والنار ، وبها انقسمت الخليقة إلى المؤمنين والكفار ، والأبرار والفجار ، فهي منشأ الخلق والأمر ، والثواب والعقاب ، وهي الحق الذي خلقت له الخليقة ، وعنهما وعن حقوقها السؤال والحساب ، وعليها يقع الثواب والعقاب ، وعليها نُصبت القبلة ، وعليها أُسست الملة ، ولأجلها جُرّدت سيوف الجهاد ، وهي حق الله على جميع العباد ، فهي كلمة الإسلام ، ومفتاح دار السلام ، وعنهما يُسأل الأولون والآخرون ، فلا تزول قدما العبد بين يدي الله حتى يُسأل عن مسألتين: ماذا كنتم تعبدون ، وماذا أجبتم المرسلين.^٢

فجواب الأولى بتحقيق «لا إله إلا الله» معرفة وإقرارا وعملا.

وجواب الثانية بتحقيق أن «محمدا رسول الله» معرفة وإقرارا وانقيادا وطاعة.^٣

وكلمة «لا إله إلا الله» تُسمى كلمة الإخلاص ، والخالص هو ما كان صافيا من الشوائب ، والشوائب هنا هو ما يقدر في تحقيق كلمة «لا إله إلا الله» ، فمن أحلص «لا إله إلا الله» فقد

^١ سورة آل عمران: ١٨ .

^٢ دليل ذلك من الكتاب قوله تعالى ﴿وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون* من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون﴾ ، وقوله تعالى ﴿ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين﴾ . سورة الشعراء: ٩٢ - ٩٣ ، وسورة القصص: ٦٥ .
وروى ابن جرير بإسناده عن أبي العالية في تفسير قوله تعالى ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين* عما كانوا يعملون﴾ ، قال: يُسأل العباد كلهم عن خُلتين يوم القيامة ؛ عما كانوا يعبدون ، وعما أجابوا المرسلين .

تفسير سورة الحجر ، الآيات ٩٢ - ٩٣ .

قال ابن القيم رحمه الله: وهاتان الكلمتان هما مضمون الشهادتين .

«الرسالة التبوكية» ، ص ٨٠ ، الناشر: مكتبة الخراز - جدة .

^٣ قاله ابن القيم رحمه الله في «زاد المعاد» (٣٤/١) ، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت .

وقريبا منه ما قاله رحمه الله في «الداء والدواء» ، ص ٣٠١ ، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي ، الناشر: دار ابن الجوزي - الدمام .

القول السديد في شرح شروط كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»

أخلص دينه لله عز وجل ، ولم يجعل لأحد فيه شيئاً ، وحقَّق قول الله فيه ﴿قل الله أعبدُ مخلصاً له ديني﴾^١.

وكلمة «لا إله إلا الله» تُسمى أيضاً بكلمة التوحيد ، لأن مؤداها توحيد الله في العبادة ، من وحدَّ يوحد ، إذا جعل الشيء واحداً ، وضدها الشرك ، أي اتخذ معبود مع الله ، أيا كان ذلك المعبود ملكاً أو نبياً أو قبرا أو ولياً أو غير ذلك ، وأيا كانت تلك العبادة.

فكلمة «لا إله إلا الله» كلمة عظيمة ، بل هي أعظم الكلمات التي يُذكر الله تعالى بها ، وقد جاءت الآيات والأحاديث الكثيرة ببيان عِظَمِها ، فمن ذلك قوله تعالى ﴿قل إنما يوحى إلي إنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون﴾^٢ ، ففي هذه الآية نرى أن الله تعالى حصر الوحي في التوحيد بأداة الحصر «إنما» ، قال الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي^٣ رحمه الله في بيان النكتة من حصر الوحي في توحيد الألوهية في الآية المتقدمة في قوله «إنما»:

حَصُرَ الوحي في توحيد الألوهية حصرٌ له في أصله الأعظم الذي يرجع إليه جميع الفروع ، لأن شرائع كل الأنبياء داخلية في ضمن «لا إله إلا الله» ، لأن معناها خلع كل الأنداد سوى الله في جميع العبادات ، وإفراد الله بجميع أنواع العبادات ، فيدخل في ذلك جميع الأوامر والنواهي القولية والفعلية والاعتقادية. انتهى.^٤

قلت: ونظير هذه الآية قوله تعالى في السورة نفسها ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾^٥.

وفي هذا التكرار لمهمة الأنبياء في سورة «الأنبياء» تأكيد على أهمية توحيد العبادة في حياة الأنبياء ، صلوات الله وسلامه عليهم.

ومما يدل من الأحاديث النبوية على عِظَمِ كلمة «لا إله إلا الله» حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي ﷺ أن نوحاً قال لابنه عند موته: أمرك باثنتين ، وأنهاك عن اثنتين ، أمرك بلا إله

^١ سورة الزمر: ١٤ .

^٢ سورة الأنبياء: ١٠٨ .

^٣ هو الشيخ العلامة الأصولي المفسر ، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، من علماء القرن الرابع عشر المبرزين ، كان غزير العلم ، متوقد الذكاء ، ذو حافظه نادرة ، له نحو عشرين كتاباً ، أكثرها في التفسير والفقه والعقيدة ، أشهرها ذكراً «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» ، و «مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر» ، وقد جمعت مؤلفاته في موسوعة علمية واحدة بعنوان «آثار الشيخ محمد الأمين الشنقيطي». توفي رحمه الله عام ١٣٩٣ هـ .

باختصار من ترجمته المذكورة في مقدمة كتاب «الأضواء» ، الناشر: دار عالم الفوائد - مكة .

^٤ «دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب» ، سورة الأنبياء: ١٠٨ .

^٥ سورة الأنبياء: ٢٥ .

القول السديد في شرح شروط كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»

إلا الله ، فإن السماوات السبع والأرضين السبع لو وُضعت في كفة ، ووضعت «لا إله إلا الله» في كِفَّةٍ ؛ رجحت بهنَّ «لا إله إلا الله».

ولو أن السماوات السبع في حلقة مُبهمَةٍ^١ قصمتهن «لا إله إلا الله» .. الحديث.^٢

ومما يدل على عِظَم كلمة «لا إله إلا الله» أنها تصعد إلى الله ليس بينها وبينه حجاب ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ما قال عبدٌ «لا إله إلا الله» قط مخلصاً إلا فتحت له أبواب السماء حتى تُفضي إلى العرش ما اجتنب الكبائر.^٣

ومما يدل على عِظَم كلمة «لا إله إلا الله» أن التلفظ بها أفضل شعب الإيمان ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة ، فأفضلها قول «لا إله إلا الله» ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان.^٤

أقول: ولما كانت كلمة «لا إله إلا الله» بهذه المكانة ، فقد قال سفيان بن عيينة رحمه الله: ما أنعم الله على العباد نعمة أعظم من أن عرّفهم «لا إله إلا الله».^٥

وكلمة «لا إله إلا الله» تتضمن نفيًا وإثباتًا ، نفي الألوهية والعبادة عما سوى الله ، وإثباتها لله وحده ، فكل ما يُعبد من دون الله فإن «لا إله إلا الله» تدل على أن عبادته باطلة ، أيًا كان ذلك المعبود ، ملكًا أو نبيًا أو قبرا أو وليا أو غير ذلك ، وأيًّا كان نوع عبادته ، دعاءً أو سجودًا أو ذبحًا أو نذرًا أو طوافًا أو غير ذلك ، لأنه لا يستحق العبادة إلا الله وحده ، كما قال تعالى ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾^٦ ، وقال تعالى ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾^٧.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله في تفسير سورة الفاتحة:

قوله تعالى ﴿إياك نعبد﴾: أشار في هذه الآية الكريمة إلى تحقيق معنى «لا إله إلا الله» ، لأن معناها مُركَّبٌ من أمرين: نفي وإثبات ، فالنفي: خلع جميع المعبودات غير الله تعالى في جميع أنواع

^١ مبهمَةٌ أي لا صدع فيها. انظر «لسان العرب» ، مادة: بَهَم.

^٢ رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٤٨) وأحمد في «مسنده» (١٧٠/٢) ، وصححه محققو «المسند» ، وكذا الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٣٤).

^٣ رواه الترمذي (٣٥٩٠) ، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٦٤٨).

^٤ رواه البخاري (٩) ومسلم (٣٥) ، واللفظ لمسلم.

^٥ انظر «كلمة الإخلاص» لابن رجب ، فصل: فضائل كلمة التوحيد.

^٦ سورة الذاريات: ٥٦ .

^٧ سورة النحل: ٣٦ ، وانظر ما قاله الشنقيطي في «أضواء البيان» في تفسير هذه الآية الكريمة.

القول السديد في شرح شروط كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»

العبادات ، والإثبات: إفراد رب السماوات والأرض وحده بجميع أنواع العبادات على الوجه المشروع.

وقد أشار إلى النفي من «لا إله إلا الله» بتقدم المعمول الذي هو «إياك» ، وقد تقدم أن تقدم المعمول من صيغ الحصر.

وأشار إلى الإثبات منها بقوله ﴿نعبد﴾.

وقد بُيِّنَ معناها^١ المشار إليه هنا مفصلاً في آيات أخر كقوله ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم﴾^٢ ، فصرح بالإثبات منها بقوله ﴿اعبدوا ربكم﴾ ، وصرح بالنفي منها في آخر الآية الكريمة بقوله ﴿فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون﴾^٣.

وكقوله ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾^٤ ، فصرح بالإثبات بقوله ﴿أن اعبدوا الله﴾ ، وبالنفي بقوله ﴿واجتنبوا الطاغوت﴾^٥.

وكقوله ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾^٦ ، فصرح بالنفي منها بقوله ﴿فمن يكفر بالطاغوت﴾ ، وبالإثبات بقوله ﴿ويؤمن بالله﴾.

وكقوله ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني﴾^٧ الآية.

وكقوله ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾^٨.

وقوله ﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجمعنا من دون الرحمن آلهة يُعبدون﴾^٩. انتهى كلامه رحمه الله.^{١٠}

وقال ابن القيم^{١١} رحمه الله في بيان معنى كلمة «لا إله إلا الله»:

^١ أي كلمة «لا إله إلا الله».

^٢ سورة البقرة: ٢١.

^٣ سورة البقرة: ٢٢.

^٤ سورة النحل: ٣٦.

^٥ سيأتي مزيد بيان لمعنى الطاغوت في شرح الشرط الثامن إن شاء الله.

^٦ سورة لقمان: ٢٢.

^٧ سورة الزخرف: ٢٦ - ٢٧.

^٨ سورة الأنبياء: ٢٥.

^٩ سورة الزخرف: ٤٥.

^{١٠} «أضواء البيان» ، تفسير سورة الفاتحة ، باختصر يسير.

وانظر ما قاله رحمه الله في كتابه «أضواء البيان» في تفسير الآية الأخيرة من سورة الحجر.

^{١١} هو محمد بن أبي بكر بن سعد الزُّرعي ثم الدمشقي ، المعروف بابن قيم الجوزية ، من علماء المائة الثامنة ، لازم شيخه ابن تيمية إلى أن مات سنة ٧٢٨ ، فكان من كبار تلامذته ، ثم حمل بعده لواء الدعوة والجهاد العلمي إلى أن مات سنة ٧٥١ ، كان واسع المعرفة والاطلاع ، كثير المصنفات ، قوي الحجّة والاستنباط ، واسع القبول ، حتى صار من بعده عميلاً عليه ، ومؤلفاته مقبولة عند

القول السديد في شرح شروط كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»

وروح هذه الكلمة وسرُّها: إفراد الرب جل ثناؤه وتقدست أسماؤه بالمحبة والإجلال والتعظيم والخوف والرجاء ، وتوابع ذلك من التوكل والإنابة والرغبة والرغبة ، فلا يُحِبُّ سواه ، وكل ما يُحِبُّ غيره فإنما يُحِبُّ تبعاً لمحبتة ، وكونه وسيلة إلى زيادة محبته ، ولا يَخاف سواه ، ولا يرجو سواه ، ولا يتوكل إلا عليه ، ولا يرغب إلا إليه ، ولا يهرب إلا منه ، ولا يحلف إلا باسمه ، ولا ينذر إلا له ، ولا يتاب إلا إليه ، ولا يُطاع إلا أمره ، ولا يُتَحَسَّب إلا به ، ولا يُستعان في الشدائد إلا به ، ولا يُلْتَجأ إلا إليه ، ولا يُسجد إلا له ، ولا يُذبح إلا له وباسمه ، ويجمع ذلك كله في حرف واحد ، وهو: أن لا يُعبد إلا إياه بجميع أنواع العبادة ، فهذا هو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله.^١

فعبادة الله وحده واجتناب عبادة ما سواه هي محور دعوة الرسل ، وهي لُبُّ الدين وأساس الملة ؛ وتحقيقها شرطٌ لدخول الجنة والنجاة من النار ؛ وعليه فينبغي لمن كان قصده الله والدار الآخرة أن يحقق معنى هذه الشهادة في نفسه ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بمعرفة معنى هذه الشهادة ، ومعرفة شروطها ، وذلك أن هذه الكلمة لا تُقبل من قائلها بمجرد نطقها باللسان فقط ؛ بل لا بد من أداء حقها وفرضها ، واستيفاء شروطها الواردة في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، فإنه من المعلوم أن كل طاعة يُتقرب بها العبد إلى الله لا تُقبل منه إلا بشروطها ، فالصلاة لا تُقبل إلا بشروطها ، كالإسلام والطهارة واستقبال القبلة ، والحج لا يُقبل إلا بشروطه ، كالإسلام والبلوغ ووجود المحرم بالنسبة للمرأة ، وكذلك الأمر في «لا إله إلا الله» ؛ فإنها لا تُقبل إلا بشروط معلومة قد جاء ذكرها في الكتاب والسنة ، استقرأها بعض أهل العلم ، ثم جمعوها في مصنفات لتقريبها للناس.^٢

جميع الناس ، نصر العقيدة الإسلامية نصراً مؤزراً ، ورد على المبتدعة نظماً ونثراً ، لاسيما المتفلسفة والقبورية والمؤولة والمتصوفة ، رحمه الله رحمة واسعة ، فقد جدد هو وشيخه دين الله ، فكانا منعطفاً في حياة الأمة الإسلامية. انظر ترجمته في «شذرات الذهب» لابن العماد و «ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب ، ومن أجمع من ترجم له الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رحمه الله في كتابه «ابن قيم الجوزية ، حياته وآثاره».

^١ «الداء والدواء» ، ص ٣٠١ ، الناشر: دار ابن الجوزي - الدمام ، باختصار يسير.

^٢ بتصرف من «فقه الأدعية والأذكار» ، شروط «لا إله إلا الله» ، للشيخ د. عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله.

باب شروط «لا إله إلا الله»

إن مما استقر عند السلف الصالح رحمهم الله أن لشهادة «لا إله إلا الله» شروطاً ، فقد قيل لوهب بن منبه^١ : أليس مفتاح الجنة «لا إله إلا الله»؟ قال: بلى ، ولكن ليس من مفتاح إلا وله أسنان ، من أتى الباب بأسنانه فُتح له ، ومن لم يأت الباب بأسنانه لم يفتح له.^٢

وقبل الشروع في ذكر تلکم الشروط وشرحها فإنه يحسن التنبيه إلى أن الحق تبارك وتعالى أشار إلى أن القيام بشروط كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» من أوصاف أهل الجنة في كتابه العزيز في قوله ﴿والذين هم بشهاداتهم قائمون﴾^٣ ، وهذه الشهادة - وإن كان المقصود بها عموم الشهادات - فإن شهادة «لا إله إلا الله» هي أولى تلك الشهادات بالقيام بتحقيقها ، وداخلة في المقصود دخولاً أولياً.^٤

سرد شروط «لا إله إلا الله» الثمانية مع شرحها

اعلم رحمك الله أن شهادة «لا إله إلا الله» لا تنفع قائلها إلا بتحقيق ثمانية شروط ، فإذا حققها العبد في نفسه فإنه يصدق عليه القول بأنه قد حقق كلمة «لا إله إلا الله» في نفسه ، واستحق ثوابها ، وأنه من أهلها ، وإن لم يحققها كان نطقه لها مجرد كلام ، لم يدخله في دين الإسلام ، كالمنافقين الذين يقولونها بألسنتهم لتكون سترا لهم بين المؤمنين وعاصمة لدمائهم وأمواهم ، ولكنها لن تنفعهم عند الله يوم القيامة ، لأنه لم ينعقد عليها اعتقاد القلب وعمل الجوارح ، وفي الآخرة سيكونون في الدرك الأسفل من النار ، كحال إخوانهم الكافرين ، قال تعالى ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً﴾^٥ . والشروط الثمانية هي:

^١ وهب بن منبه تابعي ثقة كما قال العجلي ، ولد في زمن عثمان سنة ٣٤ هـ ، وروايته للحديث قليلة ، وإنما غزارة علمه في الإسرائيليات وصحائف أهل الكتاب. انظر «السير» (٥٤٥/٤).

^٢ رواه أبو نعيم في «الحلية» (٦٨/٤) ، (الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت) ، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (رقم ٢٠٨) ، (الناشر: مكتبة السوادى - جدة) ، وإسحاق بن راهويه كما في «المطالب العالية» (ج ١٢ برقم: ٢٨٩٣) ، الناشر: دار العاصمة - الرياض.

^٣ سورة المعارج: ٣٣ .

^٤ انظر للفائدة ما قاله أهل التفسير في تفسير هذه الآية ، وانظر أيضاً ما قاله ابن القيم رحمه الله في القيام بهذه الشهادة وأنواع الناس في القيام بها في كتابه «الداء والدواء» ، ص ٣٠٢ ، الناشر: دار ابن الجوزي - الدمام.

^٥ سورة النساء: ١٤٥ .

القول السديد في شرح شروط كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»

الشرط الأول: العلم بمعناها علما جازما ، وضده الجهل به.

الشرط الثاني: القبول لها ، وضده ردها وعدم الإيمان بما تقتضيه.

الشرط الثالث: الإخلاص فيها ، وضده الوقوع في الشرك.

الشرط الرابع: المحبة لها ولما دلت عليه ، وضده بغض تلك الكلمة.

الشرط الخامس: الانقياد لها ، بأداء الأوامر وترك النواهي.

الشرط السادس: التيقن بها ، وهو كمال العلم بها علما يقينيا ، وضده الشك فيما دلت عليه وتقتضيه.

الشرط السابع: الصدق فيها ، وهو موافقة إيمان القلب بقول اللسان وعمل الجوارح ، وضده النفاق.

الشرط الثامن: الكفر بما ينافيها ، وضده الإيمان بما ينافيها أو بعضه.

وقد جمع الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي¹ رحمه الله شروط «لا إله إلا الله» في منظومته «سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد» فقال:

وبشروط سبعة قد قُيِّدت	وفي نصوص الوحي حقا وردت
فإنه لم ينتفع قائلها	بالنطق إلا حيث يستكملها
العلم واليقين والقبول	والانقياد فادرٍ ما أقولُ
والصدق والإخلاص والمحبة	وفَقَّك الله لما أحبه

كما جمع بعض العلماء شروط شهادة «لا إله إلا الله» الثمانية في بيتين:

علم يقين وإخلاص وصدقك مع محبة وانقياد والقبول لها

¹ هو الشيخ العلامة حافظ بن أحمد بن علي الحكمي ، أحد علماء المملكة العربية السعودية ، وعلم من أعلام منطقة الجنوب ، طلب العلم على الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي رحمه الله ، صنف منظومات عدة في العقيدة والفقاه والمصطلح والسيرة والفرائض والآداب ، وقد قام الملك الراحل سعود بن عبد العزيز آل سعود رحمه الله بطباعة كتبه كلها ، وله الكتاب المشهور «معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد» ، تنقل في الدعوة بين قرى منطقتة ، استفاد منه طلبة علم كُثُر ، صاروا فيما بعد علماء وقضاة ودعاة ، توفي رحمه الله عن خمس وثلاثين سنة في عام ١٣٧٧ هجرية في مكة بعد أن قضى مناسك الحج على إثر ضربة شمس ، رحمه الله رحمة واسعة ، وأسكنه فسيح جناته.

باختصار من ترجمته لابنه د. أحمد بن حافظ الحكمي ، وتقع في مقدمة كتابه «معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد» ، الناشر: دار ابن الجوزي - الدمام.

وانظر ترجمته لتلميذه الشيخ زيد بن محمد المدخلي في مقدمة كتابه «الأفنان الندية شرح السبل السوية».

القول السديد في شرح شروط كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»

وزيد ثامنها الكُفران منك بما سوى الإله من الأشياء قد أُلها

براهين «لا إله إلا الله»

اعلم رحمك الله أن البرهان الأعظم على استحقاق الله تعالى لأن يُعبد وحده دون ما سواه هو تفردته تعالى بربوبية هذا الكون^١ ، لا شريك له في ذلك ولا معين ، والرب هو من بيده الخلق والملك والرزق والأمر - أي أمر تدبير هذا الكون - ، فلا خالق إلا الله ، ولا مالك إلا هو ، ولا رازق إلا هو ، ولا أمر إلا هو ، قال تعالى مبينا تفردته بالخلق ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾^٢ ، وقال تعالى ﴿بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^٣ ، بديع أي مبدع^٤ ، والمعنى مُوجِد السماوات والأرض . وقال تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^٥ ، ومعنى فَاطِر أي مُوجِد^٦ .

ودليل انفراده بالملك قوله تعالى ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ﴾^٧ ، وقوله ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ﴾^٨ ، وقوله تعالى ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾^٩ .

ودليل انفراده بالأمر - ويعبر عنه أيضا بالتدبير - قوله تعالى ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ ، وقوله ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَهُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^{١٠} ، وقوله ﴿يَدْبِرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يِعْرِجُ إِلَيْهِ﴾^{١١} ، وقوله ﴿وَالِيهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلَّهُ﴾^{١٢} .

فتدبير هذا الكون من إحياء وإماتة ، ومطرٍ وجدبٍ ، وغنى وفقرٍ ، وصحةٍ ومرضىٍ ، وأمنٍ وخوفٍ ، وغير ذلك مما يجري في هذا الكون ؛ إنما هو بأمر الله تعالى .

^١ وهو المعروف بتوحيد الربوبية .

^٢ سورة الأعراف: ٥٤ .

^٣ سورة البقرة: ١١٧ .

^٤ انظر «مفردات ألفاظ القرآن الكريم» للراغب الأصفهاني رحمه الله .

^٥ سورة فاطر: ١ .

^٦ انظر «مفردات ألفاظ القرآن الكريم» للراغب الأصفهاني رحمه الله .

^٧ سورة الإسراء: ١١١ .

^٨ سورة الملك: ١ .

^٩ سورة فاطر: ١٣ .

^{١٠} سورة يس: ٨٢ .

^{١١} سورة السجدة: ٥ .

^{١٢} سورة هود: ١٢٣ .

ودليل انفراده بالرزق قوله تعالى ﴿الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء﴾^١.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله في كلام له عن الاستدلال بالخلق والرزق على استحقاق الله للعبادة دون ما سواه^٢:

من أعظم براهين عبادة الله وحده أنه خلقنا واخترنا من العدم إلى الوجود ، وخلقنا لنا من غرائب وعجائب صنعه كما نبين منه نموذجاً قليلاً هنا:

أولاً: الله في القرآن يجعل الفرق والعلامة الفارقة بين من يستحق أن يُعبد ومن لا يستحق أن يُعبد هي الإبراز والإختراع والإبداء من العدم إلى الوجود ، فمن يخرعك ويبرزك من العدم إلى الوجود عليك أن تعبده ، ومن لا يخلقك فهو محتاج إلى خالق - مثلك^٣ - فأنت وهو مُلزمان بأن تعبدا من خلقكما ولذا قال هنا ﴿اعبدوا ربكم الذي خلقكم﴾^٤ ، وقال جل وعلا ﴿أفمن يخلق كمن لا لا يخلق﴾^٥ ، ﴿أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار﴾^٦ ، وخالق كل شيء هو معبود كل شيء ، وهذه الحالة التي خلقنا عليها خالق الكون الكون هي من غرائب وعجائب صنع من خلقنا ، وقد أمرنا أمراً واجباً على كل إنسان منا أن ينظر فيها^٧ ويتأمل حيث قال ﴿فلينظر الإنسان مم خلق﴾^٨ ، هذا أمر واجب من خالق الكون ...

وصور بني آدم على هذه الصورة ، جعل الأنف هنا ، والعينين هنا ، ولم يشتهه اثنان ، طبع كل إنسان على صورة مخالفة لصورة الآخر ، وهذه الصورة التي وُضع عليها كل واحد هي سابقة في العلم الأزلي ، ووُضع تنفيذاً على نحو ما سبق به العلم ، ولو خُلق ملايين الملايين زائداً على من خُلق لم يضيق العلم ، فكل واحدٍ توجد له صورة مخالفة لصورة الآخر ، حتى آثارهم في الأرض وأصوات نغماتهم وبصماتهم في الأوراق كلها مختلفة ، هذه صنائع رب العالمين ، وهذه أسرار قليلة

^١ سورة الروم: ٤٠ .

^٢ تم النقل باختصار من كتاب «الرحلة إلى أفريقيا» ، ص ٢٤ - ٣٠ ، وهو كتاب ضم محاضرات قام بها الشيخ الشنقيطي إبان رحلته الدعوية لأفريقيا ، وقد دُوّنت تلك المحاضرات على أشرطة صوتية ، ثم قُرِئت وترتبت في الكتاب المذكور ، وقد قام بتحقيق الكتاب الشيخ د. خالد بن عثمان السبت حفظه الله ، ونشرته دار عالم الفوائد - مكة .

^٣ أي: هو مثلك .

^٤ سورة البقرة: ٢١ .

^٥ سورة النحل: ١٧ .

^٦ سورة الرعد: ١٦ .

^٧ الضمير عائد على حالة الخلق المشار إليها في السطر الذي قبله .

^٨ سورة الطارق: ٥ .

القول السديد في شرح شروط كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»

من أسرار معنى ﴿ربكم الذي خلقكم﴾ ، يعني: فمن فعل فيكم هذا من الأفعال والغرائب والعجائب في كل عضو وكل مَطْرَحِ إبرة هو ربكم الذي يستحق أن تعبدوه.

ولا يخفى عليكم أن ربنا فعل فينا هذا من الغرائب والعجائب ونحن في بطون أمهاتنا ، لم يحتج إلى أن يشق أم الواحد منا^١ ولا أن يُنَجِّها^٢ ولا يُنَوِّمها في صحبة^٣ ، بل فعل كل هذه العمليات والأم والأم لاهية تفرح وتمرح ، لا تدري عن شي مما يُفعل في داخلها من غرائب صنع الله وعجائبه ، ثم يُيسِّر طريق الخروج ، ونحن دائماً نذكر هذا لأن الله يلفتنا إليه حيث يقول ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث﴾^٤ ، ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة ، ﴿ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأني تصرفون﴾^٥ ، وهو محل الشاهد ، فهذا الذي يفعل هذا الخلق والإيجاد هذا هو الذي يستحق أن يُعبد

ثم زاد في البراهين العقلية ﴿الذي جعل لكم الأرض فراشاً﴾ يعني: هذا من غرائب صنعه وعجائب أمره التي تستدعي أن يُعبد وحده ويُعلم أنه الرب وحده.

وهذا الذي فرش هذه الأرض ليس بأحرق^٥ ﴿والأرض فرشناها فنعم الماهدون﴾^٦ ، جعلها ليست شديدة الاستعداد في أخذ الحر زمن الحر ولا لأخذ البرودة زمن البرودة ، فلو جعل الأرض كلها من حديد أو من نحاس أو من رصاص أو قصدير هلك كل من عليها ، جعلها رخوة لينة يعيش الخلق عليها ، قابلة للزراعات وأنواع الغراسات وإجراء العيون والأنهار وبناء البيوت ، ومثبتة مُوطَّدة بالجمال ، تدفن فيها الأموات كما قال ﴿ألم نجعل الأرض كفاتاً* أحياء وأمواتاً﴾^٧.

وقوله ﴿كفاتاً﴾ مصدر كَفَتَهُ إذا ضَمَّهُ ، أي تكفئكم وتضمُّكم أحياءً على ظهرها وأمواتاً في القبور في بطنها ، وهذه الأرض التي فرشها هذا الفرش بث فيها جل وعلا من هذه الجبال وعلى ألوان مختلفة ﴿ومن الجبال جُدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرايب سود* ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾^٨ ، بث فيها من أنواع الحيوانات والأشجار والثمار وأنواع الجبوب والزرور والمعادن والجبال مع اختلاف الألوان والأشكال والمنافع والأقذار

^١ أي يشق بطنها .

^٢ أي يُخَدِّرها .

^٣ أي مستشفى صحي .

^٤ سورة الزمر: ٦ .

^٥ الأخرق هو الجاهل بعمله . انظر «النهاية» .

^٦ سورة الذاريات: ٤٨ .

^٧ سورة المرسلات: ٢٥ - ٢٦ .

^٨ سورة فاطر: ٢٧ - ٢٨ .

القول السديد في شرح شروط كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»

والطعوم ، ﴿وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يُسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾^١.

ثم قال ﴿والسما بناء﴾ أي: وجعل هذه السماء بناء سقفاً مرفوعاً ، لا يتفطر ولا يتشقق ، ولا يحتاج إلى ترميم ولا إصلاح مع أنه تمر عليه آلاف السنين ﴿فارجع البصر هل ترى من فطور * ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير﴾^٢ أي: فاتراً ذليلاً من عظم ما رأى.

[برهان الرزق: قول الله تعالى ﴿وأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^٣]^٤

هب أن الله جل وعلا خلق الماء وأبدعه بقدرته وإرادته ثم أنزله على هذا الأسلوب الغريب العجيب الهائل ، ورويت الأرض وشربت ، من هو الذي يقدر على أن يشق الأرض ويخرج منها بمسمار النبات؟!

هب أن مسمار النبات^٥ خرج ، من هو الذي يقدر على أن يُخرج منه السنبله؟

هب أن السنبله خرجت ، من هو الذي يقدر على أن يُثبت فيها الحب؟

هب أن الحب خُلِق ، من الذي يقدر على أن يُنمِّيهِ وينقله من طور إلى طور حتى يكون تاماً صالحاً للأكل ، ﴿انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون﴾^٦ ، ولذا قال جل وعلا ﴿فليَنظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ﴾ يعني : عن النبات – ﴿شَقًّا * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنبًا وَقَضْبًا﴾ ، هذا من غرائب وعجائب صنع رب العالمين جل وعلا ولذا قال ﴿وأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾.

^١ سورة الرعد: ٤ ، وقد قال رحمه الله في التعليق عليها:

فالأرض التي تنبت فيها الثمار واحدة ، لأن قطعها متجاورة ، والماء الذي تُسقى به ماء واحد ، والثمار تخرج متفاضلة مختلفة في الألوان والأشكال والطعوم والمقادير والمنافع.

فهذا أعظم برهان قاطع على وجود فاعل مختار ، يفعل ما يشاء كيف يشاء ، سبحانه جل وعلا عن الشركاء والأنداد.

«أضواء البيان» ، تفسير سورة النحل: ١٣ .

^٢ وانظر ما قاله رحمه الله في «أضواء البيان» ، تفسير سورة الأحقاف: ٣ من عند قوله: وبذلك تعلم أنه ما خلق السماوات والأرض والأرض وما بينهما إلا خلقا متلبسا بأعظم الحق الذي هو إقامة البرهان القاطع على توحيد جل وعلا ...

^٣ سورة البقرة: ٢٢ .

^٤ ما بين المعقوفتين من وضع مقيده عفا الله عنه تمييزاً لكلام الشيخ بعضه عن بعض.

^٥ أي ساقه.

^٦ سورة الأنعام: ٩٩ .

القول السديد في شرح شروط كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»

فإذا علمتم هذا وعرفتم أن خالق الكون هو الذي رفع هذه السماء ودحى هذه الأرض^١ ، وأبرزكم من العدم إلى الوجود ، وأنبت لكم الأرزاق ؛ لا تعادِلوا بهذا من لا يقدر على شيء ، ولا تصرفوا شيئاً من حقوقه إلى عاجز ضعيف لا يقدر على شيء ، ولذا قال ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً﴾ ، نُظراء تصرفون لهم حقوقه في العبادة ، ﴿وأنتم تعلمون﴾ أنه الواحد الرب وحده المحيي المميت القادر على كل شيء ، الذي يستحق أن يُعبد وحده. انتهى كلامه رحمه الله.

فصل

وقد كان المشركون في عهد النبي ﷺ يُقِرُّون بربوبية الله تعالى مع إشراكهم به في العبادة ، فأنكر الله عليهم ذلك ، لأن الإقرار بالربوبية لا يكفي للدخول في الإسلام حتى يُضم إليه إفراؤه بالعبودية ، قال تعالى لنبيه حاثاً له على أن يقول للمشركين المعترفين لله بالربوبية ، المشركين معه غيره في العبادة ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيزُ وَلَا يُجَازِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾^٢ .

استطراد

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله:

الطريق إلى العلم بأنه «لا إله إلا الله» أمور:

أحدها . بل أعظمها . تدبر أسمائه وصفاته وأفعاله الدالة على كماله وعظمته وجلاله ، فإنها تُوجب بذل الجهد في التأله له والتعبد للرب الكامل الذي له كل حمدٍ ومجدٍ وجلالٍ وجمال .
الثاني: العلم بأنه تعالى المنفرد بالخلق والتدبير ، فيعلم بذلك أنه المنفرد بالألوهية.^٣

^١ الدحو هو المد والبسط. انظر «تفسير الطبري»، تفسير سورة النازعات: ٣٠ .

^٢ سورة المؤمنون: ٨٤ - ٨٩ .

^٣ انظر ما قاله ابن كثير في تفسير هذه الآيات ، وكذا ما قاله الشنقيطي في تفسير آية يونس: ٣١ ، وآية يوسف: ١٠٦ ، وآية الإسراء: ٩ من ابتداء قوله: ويكثر في القرآن العظيم الاستدلال على الكفار باعترافهم بربوبيته جل وعلا ... الخ.

^٤ هو الشيخ العلامة المفسر الفقيه عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، من فحول علماء نجد ، استوطن بلدة عنيزة من مدن القصيم ، ولد عام ١٣٠٧ و توفي عام ١٣٧٦ هجري ، تتلمذ على يده عدد من الطلبة صاروا فيما بعد من علماء المسلمين ، كالشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل ، والشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام ، والشيخ محمد بن صالح العثيمين وغيرهم ، رحمهم الله. انظر ترجمته في كتاب «علماء نجد خلال ثمانية قرون» ، للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام رحمه الله.

^٥ تقدم شرح هذا البرهان قبل فصلين.

القول السديد في شرح شروط كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»

الثالث: العلم بأنه المنفرد بالنعمة الظاهرة والباطنة ، الدينيّة والدينيّة ، فإن ذلك يُوجب تعلق القلب به ومحبته والتأله له وحده لا شريك له .

الرابع: ما نراه وما نسمعه من الثواب لأولياته القائمين بتوحيده ، من النصر والنعمة العاجلة ، ومن عقوبته لأعدائه المشركين به ، فإن هذا داعٍ إلى العلم بأنه تعالى وحده المستحق للعبادة كلها .

الخامس: معرفة أوصاف الأوثان والأنداد التي عُبدت مع الله وأُنحِذت آلهة ، وأنها ناقصة من جميع الوجوه ، فقيرة بالذات ، لا تملك لنفسها ولا لعبادها نفعا ولا ضرا ، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ، ولا ينصرون من عبدهم ، ولا ينفعونهم بمثقال ذرة ، من جلب خيرا أو دفع شر ، فإن العلم بذلك يوجب العلم بأنه «لا إله إلا الله» وبطلان إلهية ما سواه .

السادس: اتفاق كتب الله على ذلك^١ وتواطؤها عليه .

السابع: أن خواص الخلق الذين هم أكمل الخليقة أخلاقاً وعقولاً ورأياً وصواباً وعلماً - وهم الرسل والأنبياء والعلماء الربانيون - قد شهدوا الله بذلك .

الثامن: ما أقامه الله من الأدلة الأفقية والنفسية^٢ التي تدل على التوحيد أعظم دلالة ، وتنادي عليه بلسان حالها بما أودعها من لطائف صنعته وبديع حكمته وغرائب خلقه ، فهذه الطرق التي أكثر الله من دعوة الخلق بها إلى أنه «لا إله إلا الله» ، وأبداها في كتابه وأعادها ؛ عند تأمل العبد في بعضها لا بد أن يكون عنده يقين وعلم بذلك ، فكيف إذا اجتمعت وتواطأت واتفقت ، وقامت أدلة للتوحيد من كل جانب؟! فهناك يرسخ الإيمان والعلم بذلك في قلب العبد ، بحيث يكون كالجبال الرواسي لا تُزلزلُهُ الشُّبه والخيالات ، ولا يزداد على تكرر الباطل والشُّبه إلا نمواً وكمالاً ، هذا وإن نظرت إلى الدليل العظيم والأمر الكبير ، وهو تدبر هذا القرآن العظيم والتأمل في آياته ؛ فإنه الباب الأعظم إلى العلم بالتوحيد ، ويحصلُ به من تفاصيله وجمِّله ما لا يحصل في غيره .
انتهى .^٣

^١ أي: على التوحيد .

^٢ أي الأدلة الكونية التي أقامها الله تعالى في الآفاق ، وكذلك الآيات في النفس البشرية ، كما قال تعالى ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ .

^٣ انظر «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» ، تفسير سورة محمد ، عند تفسير قوله تعالى ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾ ، الآية

شرح شروط لا إله إلا الله^١

الشرط الأول: العلم بمعناها علماً جازماً ، وضده الجهل به .

معنى هذا الشرط أن يعلم العبد بأن الله وحده هو المستحق لجميع أنواع العبادة ، وأن ما سوى الله لا يستحق أن يصرف له من العبادة شيئاً .

فقول «لا إله إلا الله» ، أي لا معبود بحق إلا الله .

وقول: «وحده» ؛ تأكيد لإثبات تفرد الله بالعبادة .

وقول: «لا شريك له» ، تأكيد للنفي .

فانظر إلى هذه المؤكِّدات الثلاثة لتفرد الله بحق العبادة ، الأولى الحصر بـ (إلا) ، والثانية قوله (وحده) ، والثالثة قوله (لا شريك له) .

وفي هذا تأكيدٌ بعد تأكيد ، اهتماماً بمقام التوحيد .

فمن تلفظ بهذه الكلمة «لا إله إلا الله» وهو لا يعرف معناها فإنها لا تنفعه ، لأنه لم يعتقد ما تدل عليه ، كالذي يتكلم بلغة لا يفهمها .

ومما يبين معنى «لا إله إلا الله» قوله تعالى ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾^٢ ، ومعنى ﴿سواء بيننا وبينكم﴾ ؛ أي نستوي نحن وأنتم في قصر العبادة على الله ، وترك الشرك كله .

وقال الخليل عليه السلام ﴿إني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني فإنه سيهدين * وجعلها كلمة باقية في عقبه﴾^٣ ، فهذا هو حقيقة معنى «لا إله إلا الله» ، وهو البراءة من كل ما يُعبد من دون الله ، وهو النفي ، وإخلاص العبادة لله وحده ، وهو الإثبات ، وهذا هو معناها الذي دلَّت عليه هذه الآيات وما في معناها ، فمن تحقق ذلك وعلمه فقد حصل له العلم^٤ بها .

^١ أصل هذا الشرح للشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى ، وهو مذكور في «الدرر السنية من الأجوبة النجدية» (٢٥٢/٢ - ٢٥٥) ، وقد زدت عليه بما يسر الله .

والذي ذكره الشيخ عبد الرحمن بن حسن في عدَّة شروط «لا إله إلا الله» أمَّا سبعة ، وقد زاد بعض العلماء الشرط الثامن ، ونقله سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله في رسالته «الدروس المهمة لعامة الأمة» .

^٢ سورة آل عمران: ٦٤ .

^٣ سورة الزخرف: ٢٦ - ٢٨ .

^٤ وهذا هو الشرط الأول من شروط «لا إله إلا الله» .

القول السديد في شرح شروط كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»

قال الشيخ عبد الرحمن السَّعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون﴾^١: أي نطق بلسانه مقرا بقلبه عالما بما شهد به ، ويُشترط أن تكون شهادته بالحق ، وهو الشهادة لله تعالى بالوحدانية ، ولرسله بالنبوة والرسالة ، وصحة ما جاؤوا به من أصول الدين وفروعه وحقائقه وشرائعه ، فهؤلاء الذين تنفع فيهم شفاعة الشافعين ، وهؤلاء الناجون من عذاب الله ، الحائزون لثوابه. انتهى.^٢

قوله ﴿وهم يعلمون﴾ ؛ أي يعلمون بقلوبهم ما نطقت به ألسنتهم ، فجعل العلم شرطاً للشهادة بالحق ، أي شهادة «لا إله إلا الله».

وقال تعالى لنبيه ﷺ ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾^٣ ، فقوله ﴿فاعلم﴾ ؛ هو الشاهد من الآية ، وهو الأمر بالعلم بمعنى «لا إله إلا الله».

وفي هذه الآية أمر الله بالعلم بلا إله إلا الله ثم قال بعدها ﴿واستغفر لذنبك﴾ ، فابتدأ بالأمر بالعلم ثم أمر بالعمل وهو الاستغفار ، لينبه على تقدم العلم على العمل دائماً ، ولهذا بوب البخاري رحمه الله في «صحيحه» باباً سماه: «باب العلم قبل القول والعمل» ، وذكر هذه الآية.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: العلم لا بد فيه من إقرار القلب ومعرفته بمعنى ما طُلب منه علمه ، وتامه أن يعمل بمقتضاه ، وهذا العلم الذي أمر الله به - وهو العلم بتوحيد الله - فرض عين على كل إنسان ، لا يسقط عن أحد كائناً من كان ، بل كلٌّ مضطر إلى ذلك. انتهى.^٤ ومن أدلة وجوب العلم بمعنى «لا إله إلا الله» حديث عثمان بن عفان مرفوعاً: قال رسول الله ﷺ: من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة.^٥

والشاهد قوله: (وهو يعلم) ، فدل على أن العلم بالشهادة شرط لدخول الجنة ، وحسبك بهذا شاهداً.

قلت: ولما كان العلم بالشيء وتحقيقه أمران نسيان يتفاوت فيهما الناس ما بين مُقِلٍّ ومستكثر ؛ فإن الناس يتفاوتون في حظهم من «لا إله إلا الله» بحسب علمهم بمعنى هذه الكلمة.^٦

وخلاصة القول أن العلم بمعنى كلمة التوحيد وفهم مضمونها من شروط تحقيقها.

^١ سورة الزخرف: ٨٦ .

^٢ انظر تفسير الآية في كتابه «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان».

^٣ سورة محمد: ١٩ .

^٤ انظر «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» ، تفسير سورة محمد: ١٩ .

^٥ رواه مسلم (٢٦).

^٦ بتصرف من كلام للشيخ عبد الرحمن بن حسن في «الدرر السنية» (٢/٢٤٤).

القول السديد في شرح شروط كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»

الشرط الثاني: القبول لها ، وضده ردها وعدم الإيمان بما تقتضيه.

إذا عَرَفَ العبد شرط العلم ؛ فلا بد له من القبول لما دلت عليه كلمة «لا إله إلا الله» ، والقبول هو التصديق بالشيء مع الرضا به رضًا قلبيا ، ودليل القبول من الكتاب قوله تعالى ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾^١.

قال الشيخ صالح بن فوزان الفوزان^٢ حفظه الله: ومن مقتضى «لا إله إلا الله» قبول تشريع الله في العبادات والمعاملات والتحليل والتحريم ورفض كل تشريع لا يوافق التشريع الإسلامي ، قال تعالى ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾.

فلا بد من قبول تشريع الله في العبادات والمعاملات والحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه في الأحوال الشخصية وغيرها ، ورفض القوانين الوضعية ، ومعنى ذلك رفض جميع البدع والخرافات التي يتدعها ويروجها شياطين الإنس والجن في العبادات ، ومن تقبل ذلك فهو مشرك في الطاعة كما قال في هذه الآية ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾ ، وقال تعالى ﴿وإن أطمعتموهم إنهم لمشركون﴾ ، وقال تعالى ﴿اتخذوا أجبازهم ورهبانهم أربابا من دون الله﴾^٣. انتهى.

و ضد القبول الرد ، سواء كان الرد عن جحود أو جهل ، فمثال الجحود ما كان عليه حال مشركي قريش والعرب وأمثالهم من الكفار ، فإنهم عرفوا ما دلت عليه لكن لم يقبلوا ، بل استكبروا عن قبول الحق وردوه ، قال تعالى واصفا حالهم ﴿إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون* ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون﴾^٤ ، والذي دعاهم إلى الاستكبار عنها أنهم عرفوا أن «لا إله إلا الله» توجب ترك ما كانوا يعبدونه من دون الله من الأصنام.

وأما الجهل فهو حال من لم يعرف دين الإسلام أصلا ، فهذا لم يقبل «لا إله إلا الله» ، وفي عذره بالجهل تفصيل معروف عند أهل العلم.

^١ سورة البقرة: ٢٨٥ .

^٢ هو الشيخ الفقيه الذاب عن دين الله ، العالم في العقيدة والفقه ، المقدم في علوم الشريعة ، طالما دافع عن العقيدة الإسلامية ورد على أهل البدع ، جمعت ردوده فوقعت في ثلاث مجلدات ، له مؤلفات كثيرة في فنون متنوعة ، أوصى بالرجوع إليه الشيخان الجليلان عبد العزيز بن باز ومحمد بن عثيمين قبيل وفاتهما ، حفظه الله ذخرا للإسلام والمسلمين.

^٣ «لا إله إلا الله» ، معناها مكانتها ، فضلها ، وآثارها في الفرد والمجتمع» ، ص ٢١ - ٢٢ ، الناشر: دار العاصمة - الرياض.

^٤ سورة الصافات: ٣٥ - ٣٦ .

القول السديد في شرح شروط كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»

والقبول أمر قلبي ورضى اختياري ، فهو أمر متعلق بالقلب ، بخلاف الانقياد - وسيأتي الكلام عليه في موضعه إن شاء الله - فهو انقياد الجوارح لأوامر الله تعالى ، فالقبول سبب والانقياد أثر ، والله الهادي.

الشرط الثالث: الإخلاص فيها ، وضده الوقوع في الشرك.

الإخلاص ضده الشرك ، ويكون بتجريد العبادات لله تعالى وحده ، وتصفيتها عن التوجه للمخلوقين ، أي كان ذلك المخلوق ، ملكاً أو نبياً أو ولياً أو غير ذلك ، وأي كانت تلك العبادة ، من دعاء أو ذبح أو سجود أو غير ذلك ، ودليل وجوب الإخلاص قوله تعالى ﴿فاعبد الله مخلصاً له الدين * ألا لله الدين الخالص﴾^١ ، وقوله تعالى ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء﴾^٢ ، وقوله تعالى ﴿قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين * وأمرت لأن أكون أول المسلمين * قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم * قل الله أعبد مخلصاً له ديني * فاعبدوا ما شئتم من دونه﴾^٣.

وعن حديث عتبان بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : فإن الله قد حرّم على النار من قال «لا إله إلا الله» ، **يبتغي** بذلك وجه الله.^٤

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنه سأل النبي ﷺ : من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال: أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال «لا إله إلا الله» **خالصاً** من قلبه ، أو نفسه. ولفظ أحمد: **خالصة** من قِبَل نفسه.^٥

قال ابن كثير^٦ رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿فاعبد الله مخلصاً له الدين * ألا لله الدين الخالص﴾: **الخالص**: أي: فاعبد الله وحده لا شريك له ، وادع الخلق إلى ذلك ، وأعلمهم أنه لا تصلح

^١ سورة الزمر: ٢ - ٣ .

^٢ سورة البينة: ٥ .

^٣ سورة الزمر: ١١ - ١٥ .

^٤ رواه البخاري (٤٢٥) ، ومسلم (٣٣) ، ولفظ مسلم: لا يشهد أحد أن «لا إله إلا الله» ، وأني رسول الله» فيدخل النار ، أو تطعمه.

^٥ رواه البخاري (٩٩) ، وأحمد (٣٧٣/٢).

^٦ هو عماد الدين ، إسماعيل بن عمر بن كثير ، البصري الأصل ، الدمشقي الشافعي ، ولد في مطلع القرن الثامن ، درس على شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، وبرع في الفقه والتفسير والنحو والتاريخ ، له تصانيف مفيدة ، أشهرها كتابه «تفسير القرآن العظيم» ، وكتاب «البداية والنهاية» في التاريخ ، توفي سنة ٧٧٤ .

انظر ترجمته في «الدرر الكامنة» لابن حجر ، و «شذرات الذهب» لابن العماد ، و «البدر الطالع» للشوكاني ، رحمهم الله.

القول السديد في شرح شروط كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»

العبادة إلا له وحده ، وأنه ليس له شريك ولا عديل ولا نديد ، ولهذا قال تعالى ﴿ألا لله الدين الخالص﴾ ، أي لا يقبل من العمل إلا ما أخلص فيه العامل لله وحده لا شريك له. انتهى .
وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله في تفسير آية البينة (٥): فما أمروا في سائر الشرائع إلا أن يعبدوا الله مخلصين له الدين ، أي قاصدين بجميع عباداتهم الظاهرة والباطنة وجه الله وطلب الزلفى لديه ، ﴿حنفاء﴾ ، أي معرضين مائلين عن سائر الأديان المخالفة لدين التوحيد. انتهى^١ .
وقوله ﴿حنفاء﴾ ؛ الحنف هو الميل ، والمقصود هو الميل عن الشرك إلى التوحيد ، وهو تأكيد لمعنى ﴿مخلصين﴾.

قوله: (قد حرم على النار) ؛ أي على وجه التأييد ، لأنه ثبت أن بعض المؤمنين يعذبون في النار على كبائر ارتكبوها ، ثم يخرجهم إلى الجنة بعد تطهيرهم في النار .
أو أن المقصود أن الله حرم دخولهم في النار ابتداء لأنهم قاموا بما أمرهم الله ، وانتهوا عما نهاهم الله عنه .

وقوله: (أسعد الناس بشفاعتي) ؛ من المعلوم أن هناك عدة شفعاء يوم القيامة ، فالأنبياء يشفعون ، والملائكة يشفعون ، والمؤمنون يشفعون ، والأطفال يشفعون ، والقرآن يشفع ، وغيرهم ، والنبي ﷺ من جملة هؤلاء الشفعاء ، فأسعد الناس بشفاعته يوم القيامة من قال «لا إله إلا الله» عن إخلاص ، فخرج بهذا من قالها بلسانه وخالفها بجوارحه ، بأن أشرك بجوارحه ، فإن كثيرا ممن ينتسبون إلى الإسلام يقولونها ، وهم مع هذا يدعون غير الله ويذبحون لغير الله ، فهؤلاء لم يطابق قولهم فعلهم ، فليس لهم من شفاعة النبي ﷺ نصيب ، فواعظم خسارتهم .
وعن أبي شيبة الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من قال «لا إله إلا الله» مخلصا بما قلبه ؛ دخل الجنة.^٢

والحاصل أن مطلب الإخلاص الوارد في هذه الآيات والأحاديث يدل دلالة واضحة على أنه من شروط صحة «لا إله إلا الله» ، فإذا صرف العبد شيئا من عباداته لغير الله فقد انتقضت تلك الشهادة ، لأنه إذا انتفى الشرط انتفى المشروط .

^١ انظر تفسير الآية في كتابه «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» .

^٢ رواه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٤/٢٢٩) ، (الناشر: دار الريعة - الرياض) ، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٨/٦٥) .

الشرط الرابع: المحبة لها ولما دلت عليه ، وضده بغض تلك الكلمة.

ومن شروط «لا إله إلا الله» المحبة لها ، أي محبة ما دلت عليه من الإخلاص ونفي الشرك ، وهذا يقتضي حب أهلها ، وحب الكتب التي تدعو إلى التوحيد الخالص ، والعلماء الذين يدعون إليه.

ومحبة «لا إله إلا الله» تستلزم ضدها ، وهو كره من كره هذه الكلمة ، واستكبر عنها ، وهم الكفار.

فمن كره التوحيد ، أو كره أهله ، أو كره الكتب التي تدعو إليه ، والعلماء الذين يدعون إليه لكونهم يدعون إليه ؛ فقد نقض هذا الشرط.

وكذا من أحب ما يُعبد من دون الله من الأنداد والأصنام ، أو أحب أعداء كلمة «لا إله إلا الله» ، الذين لم يرفعوا بها رأساً ، وهم الكفار ، وتترك معاداتهم ؛ فقد نقص في تحقيق هذا الشرط ، بل قد يصل به الأمر إلى حد الكفر إن عاونهم ضد المسلمين لقصد هدم الدين.

قال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله: (وعلاوة حب العبد ربه تقديم محابته وإن خالفت هواه ، وبغض ما يُبغض ربه وإن مال إليه هواه ، وموالاته من وإلى الله ورسوله ، ومعاداة من عاداه ، واتباع رسوله ﷺ ، واقتفاء أثره وقبول هدايته ، وكل هذه العلامات شروط في المحبة ، لا يُتصور وجود المحبة مع انعدام شرط منها).

وقال تعالى في شأن الموالاته والمعاداته فيه ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾^١ .^٢

^١ سورة الممتحنة: ٤ .

^٢ «معارج القبول» (٢/٥٢٤ - ٥٢٥) ، الناشر: دار ابن الجوزي - الدمام.

القول السديد في شرح شروط كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»

قال ابن تيمية^١ رحمه الله: ليس للقلوب سرور ولا لذة تامة إلا في محبة الله والتقرب إليه بما يُحبه ، ولا تُمكن محبته إلا بالإعراض عن كل محبوب سواه ، وهذا حقيقة «لا إله إلا الله» ، وهي ملة إبراهيم الخليل عليه السلام وسائر الأنبياء والمرسلين ، صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين.^٢

قلت: وقد بُلي بعض المسلمين بمحبة الكفار ، وهذا حرام ، لأن محبة الكفار هو معنى موالاتهم ، فإن الموالاتة هي المحبة ، وموالاتة الكفار تدل بلا شك على وجود نقص في تحقيق شرط محبة كلمة «لا إله إلا الله» ، لأن المحبة التامة تستلزم ضدها ، وهو بغض ما يخالفها ومن يخالفها.^٣

وقد وردت آيات كثيرة في التحذير من موالاتة الكفار كقوله تعالى ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾^٤.

وقال النبي ﷺ : **أوثق عرى الإيمان ؛ الحب في الله والبغض في الله.**^٥

وعن أنس رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان) ، وفي لفظ:

(لا يجد طعم الإيمان إلا من كان فيه ثلاث): من كان الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما ، وأن

يُحِبُّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ ، وأن يكره أن يرجع في الكفر كما يكره أن يلتقى في النار.^٦

^١ هو الإمام العلامة البحر الفقيه ، شيخ الإسلام حقا ، أبو العباس ، تقي الدين ، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ، الحراني ثم الدمشقي ، الملقب بابن تيمية ، جدد دين الإسلام بعدما استحكمت غرته ، وأظلمت الدنيا بالبدع الكلامية وخرافات الصوفية وشركيات القبورية وإلحاد الفلاسفة والرافضة ، فجدد الدعوة للإسلام الصافي على منهاج الكتاب والسنة ، وجهر بالحق ، وناظر أهل الباطل ، وتحمل السجن في سبيل ذلك ، فكتب الله لعلمه القبول ، وسارت بمصنفاته الركبان ، وصار من بعده من علماء السنة عيالا عليه ، أما تلاميذه فصار بعضهم من أئمة الإسلام ، كابن القيم وابن كثير والذهبي وابن عبد الهادي وغيرهم ، توفي رحمه الله سنة ٧٢٨ هـ ، وقد جمع بعض المحققين أقوال من ترجم له في جامع نفيس ، ووسموه بـ «الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون» ، بإشراف الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله ، ونشرته دار عالم الفوائد - مكة ، فليرجع إليه من أراد الاستزادة.

^٢ «مجموع الفتاوى» (٣٢/٢٨).

^٣ ومن هنا نعلم خطر ما وقع فيه كثير من شباب المسلمين من محبة بعض الكفار والتعلق بهم ، كبعض المغنين أو اللاعبين ، والله المستعان.

^٤ سورة المجادلة: ٢٢ .

^٥ أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٨٦/٤) ، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٣٢٧) ، (الناشر: دار الكتب العلمية) عن البراء بن عازب رضي الله عنه ، ورواه الطبراني في «الكبير» (٢٧٢/١٠) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وحسنه الألباني بمجموع طرقه في «الصحيحة» (١٧٢٨).

^٦ رواه البخاري (١٦) ومسلم (٤٣) ، واللفظ للبخاري.

القول السديد في شرح شروط كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»

وعن سهل بن معاذ عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال: من أعطى الله تعالى ، ومنع الله تعالى ، وأحب لله تعالى ، وأبغض لله تعالى ، وأنكح لله تعالى ؛ فقد استكمل إيمانه.^١
وعن أبي أمامة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال: من أحب لله ، وأبغض لله ، وأعطى الله ، ومنع الله ؛ فقد استكمل الإيمان.^٢

وقال ابن القيم رحمه الله: فلا تصح الموالاة إلا بالمعاداة ، كما قال تعالى ﴿أفرأيتم ما كنتم تعبدون * أنتم وأبائكم الأقدمون * فإنهم عدو لي إلا رب العالمين﴾^٣ ، فلم يصح لخليل الله ﷺ هذه الموالاة والحلة إلا بتحقيق هذه المعاداة ، فإنه لا ولاء إلا لله ، ولا ولاء لله إلا بالبراءة من كل معبود سواه.^٤

ولما كانت محبة الكفار مُنْقِصَةً لتحقيق «لا إله إلا الله» ؛ سُمي الله محبة الكفار وترك معاداتهم فسادا ، كما في قوله تعالى ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾^٥ ، قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية الكريمة: ﴿إلا تفعلوه﴾ ؛ أي موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين ، بأن واليتموهم كلهم أو عاديتموهم كلهم ، أو واليتم الكافرين وعاديتم المؤمنين ، ﴿تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾ ، فإنه يحصل بذلك من الشر ما لا ينحصر من اختلاط الحق بالباطل ، والمؤمن بالكافر ، وعدم كثير من العبادات الكبار ، كالجهاد والهجرة وغير ذلك من مقاصد الشرع والدين التي تفوت إذا لم يُتَّخذ المؤمنون وحدهم أولياء ، بعضهم لبعض. انتهى.^٦

تنبيه:

التعامل بين المسلمين والكفار - بإجراء صلح مثلا أو هدنة أو بيع أو شراء ونحوها - لا يستلزم موالاة ولا تولي ، بل هو من الأمور الجائزة.
وقد توفي النبي ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي ، ودعاه يهودي إلى خبز شعير وإهالة سِنِخَة فأجابه عليه الصلاة والسلام ، وهذا لم يقتض موالاة من جانبه عليه الصلاة والسلام ، لأن مقصده الدعوة لا المؤانسة والركون التي هي من مقتضيات الموالاة.

^١ رواه الترمذي (٢٥١١) وأحمد (٤٣٨/٣) وأبو يعلى (٦٠/٣) ، والطبراني في الكبير (٤١٢/٢٠) ، وحسنه الألباني ، وقال محققو «المسند»: صحيح لغيره.

^٢ أخرجه أبو داود (٤٦٨١) وصححه الألباني رحمه الله.

^٣ سورة الشعراء: ٧٥ - ٧٧ .

^٤ «الداء والدواء» ، الناشر: دار ابن الجوزي - الدمام.

^٥ سورة الأنفال: ٧٣ .

^٦ انظر تفسير الآية في كتابه «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان».

القول السديد في شرح شروط كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»

وفي قصة صلح الحديبية ، وما حصل فيها من الصلح ووضِع الحرب عشر سنين ما يكفي في بيان أن الصلح مع الكفار جائز.

وقد وقع في زماننا هذا - القرن الخامس عشر الهجري - من بعض المتحمسين شيء من الغلو في فهم عقيدة البراءة من الكفار ، فظن بعضهم جهلا أن الهدنة مع الكفار الصلح معهم أو التعامل معهم يدخل في موالاتهم ، وأن هذا حرام وليس بجائز في الشريعة مطلقا ، ثم اتهموا من فعل ذلك من الحكام بموالات الكفار ، بل ألصقوا هذا الاتهام ببعض العلماء الكبار لما أفتوا بجواز ذلك تحقيقا للمصلحة العامة ، ونسوا أو جهلوا أن أفضل الخلق فعل ذلك.

والتعامل مع الكفار مما يدل على أن الإسلام دين صالح لكل زمان ومكان ، وأنه ليس فيه أغلال ولا آصار ، فإن مصالح المسلمين تقتضي التعامل مع المسلمين والكفار ، بل ربما احتاج المسلمون للتعامل مع بعض الكفار الحريين ، ولهذا ذكر بعض الفقهاء في بعض أبواب البيوع شروطا للتعامل مع الكافر الحربي ، ولم يمنعه مطلقا كما ظن بعضهم.

بل قد أجاز الإسلام الزواج من الكتائية - يهودية كانت أو نصرانية - بحسب الشروط المعروفة. وأمر الإسلام أمر إيجاب أن يُحسِن المسلم لأبويه إن كانا كافرين ، وهذا من التعامل ، ولم يأمره بهجرهما.

فالخاصل أن الكفر ليس موجب لقطع التعامل ، ولا التعامل مستلزم لمودة الكافر وموالاته ، ومن حرم ذلك فقد حرّم ما أحل الله ، والله المستعان.

فصل في أنواع الناس في باب الولاء للمؤمنين ، والبراءة من الكافرين

نختم الكلام في شرح الشرط الرابع بذكر خلاصة في هذا الباب في أنواع الناس في باب الولاء للمؤمنين ، والبراءة من الكافرين ، للشيخ محمد بن عبد الوهاب^١ رحمه الله تعالى ، قال:

أصل دين الإسلام وقاعدته أمران:

الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له ، والتحريض على ذلك ، والموالاتة فيه ، وتكفير من تركه.

الثاني: الإنذار عن الشرك في عبادة الله ، والتغليظ في ذلك ، والمعاداة فيه ، وتكفير من فعله.

والمخالفون في ذلك أنواع ؛

فأشدهم مخالفة من خالف في الجميع.

ومن الناس من عبد الله وحده ، ولم يُنكر الشرك ، ولم يُعاد أهله.

ومنهم من عاداهم ، ولم يُكفرهم.

ومنهم من لم يجب التوحيد ، ولم يُبغضه.

ومنهم من كَفَرهم^٢ ، وزعم أنه^٣ مسبة للصالحين.

ومنهم من لم يُبغض الشرك ، ولم يجبه.

ومنهم من لم يعرف الشرك ، ولم ينكره.

ومنهم من لم يعرف التوحيد ، ولم ينكره.

ومنهم - وهو أشد الأنواع خطراً - من عمل بالتوحيد ، لكن لم يعرف قدره ، ولم يُبغض من تركه ، ولم يكفرهم.

ومنهم من ترك الشرك ، وكرهه ، ولم يعرف قدره ، ولم يعاد أهله ، ولم يُكفرهم.

^١ الشيخ محمد بن المجددين لما اندرس من معالم دين الإسلام في شبه الجزيرة العربية في القرن الثاني عشر الهجري ، أحيا الله به الدين إلى يومنا هذا ، ونفع به ومؤلفاته ، كلامه في العقيدة مبثوث في كتبه ، ولد الشيخ محمد سنة ١١١٥ هـ وتوفي سنة ١٢٠٦ هـ ، وكل من جاء بعده من علماء الجزيرة العربية عيالاً عليه إلى يومنا هذا .

انظر ترجمته في كتاب «علماء نجد خلال ثمانية قرون» للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام ، وانظر لزاما كتاب «عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية» للشيخ د. صالح بن عبد الله العبود .

وله ترجمة حافلة بقلم حفيده الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، وهي مثبتة في «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» (٣/٣٧٨-٤٢٩) ، وكذا في «الدرر السننية في الأجوبة النجدية» (١/٣٧٢-٤٣٩).

^٢ أي كَفَر أهل التوحيد.

^٣ أي التوحيد.

القول السديد في شرح شروط كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»

وهؤلاء^١ قد خالفوا ما جاءت به الأنبياء ، من دين الله سبحانه وتعالى ، والله أعلم.^٢

الشرط الخامس: الانقياد لها ، بفعل الأوامر وترك النواهي.

ومن شروط «لا إله إلا الله» الانقياد لما دلت عليه ، وهو العمل بالجوارح ، بالعمل بما فرضه الله ، وترك ما حرمه الله ، ودليل الانقياد قوله تعالى ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ﴾^٣ ، فقوله ﴿وَأَسْلَمُوا لَهُ﴾ هو الشاهد من الآية ، لأن حقيقة الإسلام أن يُسلم العبد بقلبه وجوارحه لله تعالى ، وينقاد له بالتوحيد والطاعة.

ومن الأدلة على وجوب الانقياد للشريعة قوله تعالى ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾^٤ ، وقوله تعالى ﴿وَمَنْ يَسْلَمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾^٥ ، وقوله تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾^٦ .
فقوله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا﴾ أي لا أحسن دينا.

وإسلام الوجه لله هو الخضوع والانقياد له.

وإحسان العمل يتحقق بإخلاصه لله تعالى ، ومتابعة رسوله ﷺ .

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية المتقدمة: يقول تعالى مخبرا عمن أسلم وجهه لله ، أي أخلص له العمل وانقاد لأمره وشرعه ، ولهذا قال ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ ، أي في عمله ، باتباع ما به أمر ، وترك ما عنه زجر ، ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ ، أي فقد أخذ موثقا من الله متينا أنه لا يعذبه.
انتهى.^٧

وقال تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾^٨.

^١ أي المخالفين الذين تقدم ذكر أنواعهم.

^٢ انتهى كلامه رحمه الله ، وهو مثبت في «الدرر السننية في الأجوبة النجدية» (٢٢/٢) ، وقد شرح هذه الزبدة النفيسة حفيده الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى ، وشرحه مثبت في «الدرر السننية في الأجوبة النجدية» (٢٠٢/٢ - ٢١١).

^٣ سورة الزمر: ٥٤ .

^٤ سورة البقرة: ١١٢ .

^٥ سورة لقمان: ٢٢ .

^٦ سورة النساء: ١٢٥ .

^٧ وانظر ما قاله الشنقيطي في «أضواء البيان» في تفسير الآية نفسها من سورة النساء.

^٨ سورة الأحزاب: ٣٦ .

القول السديد في شرح شروط كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: فهذه الآية عامة في جميع الأمور ، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيءٍ فليس لأحدٍ مخالفته ، ولا اختياراً لأحدٍ هنا ولا رأي ولا قول ، كما قال تبارك وتعالى ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾^١ ، وفي الحديث: (والذي نفسي بيده ؛ لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به)^٢ ، ولهذا شدد في خلاف ذلك فقال ﴿ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ لا مبيناً﴾^٣ ، كقوله تعالى ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾^٤. انتهى.

ومما ينبغي التنبيه عليه أن الانقياد للشرعية من دلائل محبة الله تعالى ، كما قال تعالى ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾^٥.

وقال الإمام الشافعي رحمه الله في أبيات منسوبة له:

تعصي الإله وأنت تزعم حبه هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

والفرق بين الانقياد والقبول أن القبول أمر قلبي ، فهو أمر متعلق بالقلب ، بخلاف الانقياد فهو انقياد الجوارح لأوامر الله تعالى ، فالقبول سبب والانقياد أثر وعلامة ، والله الهادي.

^١ سورة النساء: ٦٥ .

^٢ رواه ابن أبي عاصم في «السنن» (١٥) بنحوه ، وضعفه ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (٣٩٣/٢) «الناشر: مؤسسة الرسالة» ، وكذا وضعفه الألباني في «ظلال الجنة» (١٢/١).

^٣ سورة الأحزاب: ٣٦ .

^٤ سورة النور: ٦٣ .

^٥ سورة آل عمران: ٣١ .

القول السديد في شرح شروط كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»

الشرط السادس: التيقن بها ، وهو كمال العلم بها علما يقينيا ، وضده الشك فيما دلت عليه وتقتضيه .

اليقين هو كمال العلم والتصديق ، وضده الشك والريب ، الذي هو حال المنافقين عيادا بالله ، ودليل وجوب اليقين قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾^١ .

فاشترط لصدق إيمانهم بالله ورسوله كونهم لم يرتابوا ، أي لم يشكُّوا فيما أمروا بالإيمان به ، وعلى رأس ذلك الإيمان بكلمة «لا إله إلا الله» وما دلت عليه ، من أفراد الله بالعبادة .

والدليل من السنة على أن اليقين شرط ؛ قول النبي ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه: من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن «لا إله إلا الله» مستيقنا بما قلبه فبشره بالجنة.^٢

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله» ، لا يلتقى الله بهما عبد غير شاكٍّ فيهما إلا دخل الجنة.^٣

فاليقين يستلزم نفي الشك والريب ، فمن لم يكن مستيقنا بما تستلزمه كلمة التوحيد فإن مجرد النطق بها لا ينفعه يوم القيامة ولا في قبره عند سؤال الملكين ، لأنه مجرد نطق باللسان ، لم ينعقد عليه اعتقاد القلب ، ومن المعلوم أن الإيمان اعتقاد بالجنان ، ونطق باللسان ، وعمل بالأركان ، أي الجوارح ، يزيد بالطاعات ، وينقص بالعصيان .

^١ سورة الحجرات: ١٥ .

^٢ رواه مسلم (٣١) عن أبي هريرة رضي الله عنه ولفظه: كنا قعودا حول رسول الله ﷺ ، معنا أبو بكر وعمر في نفر ، فقام رسول الله ﷺ من بين أظهرنا فأبطأ علينا ، وحشينا أن يُقتطع دوننا ، وفزعنا وقمنا ، فكنت أول من فزع ، فخرجت أتبعي رسول الله ﷺ حتى أتيت حائطاً للأَنْصار لبني النجار ، فدرتُ به هل أجد له بابا فلم أجد ، فإذا ربيعٌ يدخل في جوف حائط من بئرٍ خارجةٍ ، والربيع الجدول ، فاحتفتز (أي تضامثُ ليسعني المدخل) كما يحتفز الثعلب ، فدخلت على رسول الله ﷺ ، فقال: أبو هريرة؟! فقلت: نعم يا رسول الله . قال: ما شأنك؟ قلت: كنت بين أظهرنا ، فمتمت فأبطأت علينا ، فحشينا أن تقتطع دوننا ففزعنا ، فكنت أول من فزع ، فأتيت هذا الحائط ، فاحتفتزت كما يحتفز الثعلب ، وهؤلاء الناس ورائي . فقال: يا أبا هريرة ، وأعطاني نعليه ، قال: اذهب بنعليَّ هاتين ، فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن «لا إله إلا الله» مستيقنا بما قلبه فبشره بالجنة . قال: نعم . قال: فلا تفعل ، فإني أخشى أن يتكل الناس عليها ، فحلَّهم يعملون . قال رسول الله ﷺ : فحلَّهم . قوله: (من بئرٍ خارجةٍ) أي خارجةٍ عن الحائط . انظر شرح النووي للحديث .

^٣ رواه مسلم (٢٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في مسير ، قال: فنفدت أزواد القوم ، قال: حتى همَّ بنحري بعض حمائلهم (أي ركابهم وهي الإبل) ، قال: فقال عمر: يا رسول الله ، لو جمعت ما بقي من أزواد القوم فدعوت الله عليها . قال: ففعل ، قال: فجاء ذو البئر ببئرٍ ، وذو التمر بتمره ، قال: وقال مجاهد: وذو النواة بنواه ، قلت: وما كانوا يصنعون بالنوى؟ قال: كانوا يمصونه ويشربون عليه الماء ، قال: فدعا عليها حتى ملأ القوم أزودهم ، قال: فقال عند ذلك: «أشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله» ، لا يلتقى الله بهما عبد غير شاكٍّ فيهما إلا دخل الجنة .

القول السديد في شرح شروط كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»

وفي حديث البراء بن عازب رضي الله عنه في سؤال الملكين للميت بعد دفنه دلالة على ذلك ،
فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال في الكافر إنه يأتيه ملكان فيجلسانه ، فيقولان له: من ربك؟
فيقول: هاه هاه ، لا أدري.

فيقولان له: ما دينك؟

فيقول: هاه هاه ، لا أدري.

فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟

فيقول: هاه هاه ، لا أدري.^١

فينادي منادٍ من السماء أن كذب ، فافرشوا له من النار^٢ ، وافتحوا له باب إلى النار ، فيأتيه من
حرّها وسَمومها ، ويُضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلّاعه ، ويأتيه رجل قبيح الوجه ، قبيح
الثياب ، مُنتنُ الريح ، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك ، هذا يومك الذي كنت توعده.

فيقول: من أنت ، فوجهك الوجه يجيء بالشر؟

فيقول: أنا عمّلك الخبيث.

فيقول: ربّ لا تقم الساعة.^٣

فالشاك كافر عيادا بالله ، لأنه ليس متيقنا من أصل دين الإسلام وهو شهادة «لا إله إلا الله».
وأما المؤمن المتيقن من شهادة «لا إله إلا الله» وما تتضمنه من عقائد فإنه يجيب الملكين بلا ترددٍ
ولا تلوّكٍ ، فقد جاء في نفس الحديث أن الملكان يأتيان المؤمن فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟
فيقول: ربي الله.

فيقولان له: ما دينك؟

فيقول: ديني الإسلام.

فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟

فيقول: هو رسول الله ﷺ .

فيقولان له: وما علمك؟

فيقول: قرأت كتاب الله ، فأمنت به وصدّقت.

^١ هذا هو الشاهد من الحديث ، وهو قوله (هاه هاه لا أدري) ، فقد دلت على أنه لم يكن مستيقنا بما يستلزمه النطق بكلمة التوحيد ، فهلك عيادا بالله كما سيأتي.

^٢ أي اجعلوا له فراشا من النار.

^٣ أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٢٨٧/٤) في حديث طويل ، وأبو داود (٤٧٥٣) ، وصحح إسناده محققو «المسند» وقالوا: رجاله رجال الصحيح ، وكذا صححه الألباني كما في «صحيح الجامع» (١٦٧٦) و «مشكاة المصابيح» (١٦٣٠).

القول السديد في شرح شروط كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»

فينادي مناد في السماء أن صدق عبدي ، فافرشوه من الجنة^١ ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له بابا إلى الجنة.

قال: فيأتيه من روجها وطيبها ، ويُفصح له في قبره مد بصره.

قال: ويأتيه رجل حسن الوجه ، حسن الثياب ، طيب الريح ، فيقول: أبشر بالذي يسُرُّك ، هذا يومك الذي كنت توعده ، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير .
فيقول: أنا عمك الصالح.

فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي .

وروى البخاري في «صحيحه» عن هشام بن عروة عن امرأته فاطمة بنت المنذر عن أسماء بنت أبي بكر عن أختها عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: ... ولقد أوجي إلي أنكم تفتنون في القبور مثل أو قريبا من فتنة الدجال - لا أدري أيتها قالت أسماء - يُؤتى أحدكم فيقال له: ما علمك بهذا الرجل؟

فأما المؤمن أو الموقن - لا أدري أي ذلك قالت أسماء - فيقول: محمد رسول الله ﷺ ، جاءنا بالبينات والهدى ، فأجبنا وآمنا واتبعنا.

فيقال له: نم صالحا ، فقد علمنا إن كنت لموقنا .

وأما المنافق أو المرتاب - لا أدري أيتها قالت أسماء - فيقول: لا أدري ، سمعت الناس يقولون شيئا فقلته.^٢

فبيّن هذان الحديثان حال الموقن بكلمة التوحيد ، وما يعجل له من النعيم في قبره ، وكذا حال الشاك في كلمة التوحيد ، وما يعجل له من العقوبة ، والله المستعان.

والشك من صفات المنافقين أيضا ، قال تعالى في وصفهم ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾^٣ ، وقوله ﴿مَذْبُذِبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾^٤.

وقد بيّن الله تعالى أن الشك والريب الذي في قلوب المنافقين أنه مَرَضٌ ، كما في قوله تعالى ﴿أَبِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ أَلَّا يَكْفُرَ لَكُمْ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

^١ أي اجعلوا له فراشا من الجنة.

^٢ أخرجه البخاري (١٠٥٣) ، والشك في اللفظين من عند هشام بن عروة ، فإن ثبتت لفظة (الموقن) فالحديث صريح في شرط اليقين ، والذي يظهر أن لفظة (الموقن) ثابتة ، لأنه قال في نهاية الحديث: (فقد علمنا إن كنت لموقنا) ، فالتناسق باستعمال لفظة اليقين في السؤال والإجابة تشير إلى هذا ، والله اعلم.

^٣ سورة التوبة: ٤٥ .

^٤ سورة النساء: ١٤٣ .

القول السديد في شرح شروط كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»

الشرط السابع: الصدق فيها ، وهو موافقة إيمان القلب بقول اللسان وعمل الجوارح ، وضده النفاق .

ومن شروط تحقيق «لا إله إلا الله» **الصدق** المنافي للكذب ، وهو تطابق العلم بمعنى كلمة «لا إله إلا الله» - ومحله العقل - مع الإيمان بها - ومحله القلب - مع النطق بها - ومحله اللسان - مع انقياد الجوارح لما دلت عليه تلك الكلمة ، فيُصدَّق العلم بالعقل بإيمان القلب وقول اللسان وفعل الجوارح .

ودليل الصدق من الكتاب قوله تعالى ﴿ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾^١ .

أي يُبتَلَوْنَ في أموالهم وأنفسهم لنختبرهم ، ليتبين المخلص من المنافق ، والصادق من الكاذب .
ودليل الصدق من السنة ما رواه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ - ومعاذ رديفه على الرَّجُل - قال: يا معاذ بن جبل .

قال: لبيك يا رسول الله وسعديك .

قال: يا معاذ .

قال: لبيك يا رسول الله وسعديك ، ثلاثاً .

قال: ما من أحد يشهد أن «لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله» صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار .

قال: يا رسول الله ، أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟

قال: إذا يتكلموا .

وأخبر بها معاذ عند موته تأثماً^٢ .

وعن رفاة الجهني رضي الله عنه قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ ، حتى إذا كنا بالكديد - أو قال بقديد^٤ - فجعل رجال منا يستأذنون إلى أهلهم فيأذن لهم ، فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ما بال رجال يكون شقُّ الشجرة التي تلي رسول الله ﷺ أبغض إليهم من الشقِّ الآخر؟

^١ سورة العنكبوت: ٣ .

^٢ أي خشية الوقوع في إثم كتمان العلم ، والذي دعاه أصلاً للكتمان هو خشيته أن يسيء الناس فهم الحديث فيكتفوا بالشهادتين ويتركوا العمل ، فإن عوام الناس الذين لا يعلمون حقوق الشهادتين يمكن أن يقع منهم ذلك ، والله المستعان . انظر شرح الحديث لابن حجر رحمه الله في «الفتح» .

^٣ رواه البخاري (١٢٨) ، وأحمد في «مسنده» (٢٣٣/٥) .

^٤ قديد موضع بين مكة والمدينة . انظر «النهاية» .

القول السديد في شرح شروط كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»

فلم نر عند ذلك من القوم إلا باكيا.

فقال رجل: إن الذي يستأذنك بعد هذا لسفيه.

فحمد الله وقال حينئذ: أشهد عند الله ؛ لا يموت عبداً يشهد أن «لا إله إلا الله ، وأني رسول الله»
صدقا من قلبه ، ثم يُسَدّد ؛ إلا سلك في الجنة.^١

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : إذا قال المؤذن: «الله أكبر ، الله أكبر» فقال أحدكم: «الله أكبر ، الله أكبر» ، ثم قال: «أشهد أن لا إله إلا الله» ، قال: «أشهد أن لا إله إلا الله» ، ثم قال: «أشهد أن محمدا رسول الله» ؛ قال: «أشهد أن محمدا رسول الله» ثم قال: «حي على الصلاة» ؛ قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله» ، ثم قال: «حي على الفلاح» ؛ قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله» ، ثم قال: «الله أكبر ، الله أكبر» ؛ قال: «الله أكبر ، الله أكبر» ، ثم قال: «لا إله إلا الله» ؛ قال: «لا إله إلا الله» من قلبه ؛ دخل الجنة.^٢

وروى ابن أبي حاتم في تفسير سورة آل عمران في قوله ﴿فإن أسلموا فقد اهتدوا﴾^٣ عن الربيع في قوله ﴿فقد اهتدوا﴾ ؛ قال: من تكلم بهذا صدقا من قلبه - يعني الإيمان - فقد اهتدى.

و ضد الصدق الكذب ، ويكون باعتقاد ما يناقض «لا إله إلا الله» ، أو النطق بما يخالفها باللسان ، أو تخلف الجوارح عن العمل ، وهذا كله من النفاق ، قال تعالى عن المنافقين ﴿يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم﴾^٤.

^١ رواه أحمد في «مسنده» (١٦/٤) ، وصحح إسناده محققو «المسند».

^٢ رواه مسلم (٣٨٥) واللفظ له ، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢١٨/١) ، الناشر: المكتب الإسلامي.

^٣ آية رقم ٢٠ .

^٤ سورة الفتح: ١١ .

الشرط الثامن: الكفر بما ينافيها ، وضده الإيمان بما ينافيها أو بعضه .

اعلم رحمننا الله وإياك أنه لما كان تحقيق الشهادتين لا يتأتى إلا بنفي وإثبات ، أي نفي جميع ما يُعبد من دون الله ، وإثبات عبادة الله وحده لا شريك له ؛ زاد بعض أهل العلم شرطاً تامناً لشروط تحقيق «لا إله إلا الله» ، وهو الكفر بما يُنافيها ، وهو المعبر عنه بالطاغوت ، ودليل هذا الشرط من الكتاب قوله تعالى ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها﴾^١ ، فالكفر بالطاغوت في الآية الكريمة هو نفي ألوهية غير الله عن الله في كلمة «لا إله إلا الله» وخلع الشركاء والأنداد عن الله تعالى والتبرؤ منها ، والإيمان بالله في الآية الكريمة هو إثبات الألوهية لله تعالى وحده في الكلمة نفسها ، فمن حقق هذين الشرطين فقد حقق «لا إله إلا الله» .

والسنة الشريفة تدل على وجوب الكفر بما ينافي «لا إله إلا الله» ، فقد كان النبي ﷺ يبين للناس دائماً معنى الإسلام بذكر الأمرين: عبادة الله ، واجتناب الشرك ، وهو — أي اجتناب الشرك — معنى الكفر بالطاغوت ، كما في حديث جبريل عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ بارزاً يوماً للناس فأتاه جبريل فقال: ما الإيمان؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث.

قال: ما الإسلام؟

قال: الإسلام أن **تعبد الله ولا تشرك به شيئاً** ، وتقيم الصلاة ، وتؤدي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان.^٢

وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة . فقال رسول الله ﷺ: **تعبد الله ولا تشرك به شيئاً** ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم.^٣

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر ، فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير فقلت: يا رسول الله: أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار . قال: لقد سألتني عن عظيم ، وإنه ليسير على من يسره الله عليه ، **تعبد الله ولا تشرك به شيئاً** ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت.^٤

^١ سورة البقرة: ٢٥٧ .

^٢ رواه البخاري (٥٠) ، ومسلم (٩) ، والنسائي (٥٠٠٧) ، وابن ماجه (٦٤) .

^٣ رواه البخاري (١٣٩٦) ، والنسائي (٤٦٧) واللفظ له .

^٤ رواه الترمذي (٢٦١٦) ، وصححه الألباني رحمه الله .

القول السديد في شرح شروط كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»

وعن أبي أيوب الأنصاري ، أن رسول الله ﷺ قال: من جاء يعبد الله لا يشرك به شيئاً ، ويقوم الصلاة ، ويؤتي الزكاة ، ويصوم رمضان ، ويحج الكبائر ؛ فإن له الجنة.^١
وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار.^٢

وعن أبي مالك عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من قال «لا إله إلا الله» ، وكفر بما يُعبد من دون الله ؛ حُرِّم ماله ودمه ، وحسابه على الله عزَّ وجل.^٣
قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب^٤ رحمه الله معلقاً على هذا الحديث:

وهذا من أعظم ما يبين معنى «لا إله إلا الله» ، فإنه لم يجعل التلفظ بما عاصما للدم والمال ، بل ولا معرفة معناها مع لفظها ، بل ولا الإقرار بذلك ، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له ، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يُضيف إلى ذلك الكفر بما يُعبد من دون الله ، فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ولا دمه ، فيا لها من مسألة ما أعظمها وأجلها ، ويا له من بيان ما أوضحه ، وحجة ما أقطعها للمنازع.^٥

فالحاصل من هذه الأحاديث وغيرها أن النبي ﷺ كان يبين دائماً أن إفراد الله بالعبادة وعدم الإشراف به هو معنى «لا إله إلا الله» ، وأنهما متلازمان.

استطراد في شرح معنى «الطاغوت»

الطاغوت من الطغيان ، وهو في اللغة تجاوز الحد ، كما في قوله تعالى ﴿إنا لما طغنا الماء حملناكم في الجارية﴾^٦ ، أي تجاوز الماء حدّه.

^١ رواه النسائي (٤٠٠٩) ، وأحمد (٤١٣/٥) ، وصححه الألباني.

^٢ تقدم تخريجه.

^٣ تقدم تخريجه.

^٤ الشيخ محمد من المجددين لما اندرس من معالم دين الإسلام في شبه الجزيرة العربية في القرن الثاني عشر الهجري ، أحيا الله به الدين إلى يومنا هذا ، ونفع به ومؤلفاته ، كلامه في العقيدة مبثوث في كتبه ، ولد الشيخ محمد سنة ١١١٥ هـ وتوفي سنة ١٢٠٦ هـ ، وكل من جاء بعده من علماء الجزيرة العربية عيالاً عليه إلى يومنا هذا.
انظر ترجمته في كتاب «علماء نجد خلال ثمانية قرون» للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام ، وانظر لزاماً كتاب «عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية» للشيخ د. صالح بن عبد الله العبود.

وله ترجمة حافلة بقلم حفيده الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، وهي مثبتة في «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» (٣/٣٧٨-٤٢٩) ، وكذا في «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (١/٣٧٢-٤٣٩).

^٥ «كتاب التوحيد» ، باب تفسير التوحيد وشهادة «أن لا إله إلا الله».

^٦ سورة الحاقة: ١١ .

القول السديد في شرح شروط كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»

وفي الشرع فإن معنى الطاغوت ما جاوز به العبد حده الشرعي من متبوع أو معبود أو مطاع.
قال ابن القيم رحمه الله:

والطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حدّه من معبود أو متبوع أو مطاع ، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله ، أو يعبدونه من دون الله ، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله ، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله ، فهذه طواغيت العالم.^١

فالمعبود كالأصنام والقبور المعبودة ، **والمتبوع** كعلماء السوء ، الذين يُجِلون ما حرم الله أو يُحرمون ما أحل الله ، كبعض علماء بني إسرائيل السابقين ، وقساوسة النصارى وأحبار اليهود ، الذين يُشرعون من عند أنفسهم ويقولون هذا من عند الله ، أو العلماء المنتسبين للإسلام ، من الذين يجيزون دعاء أصحاب القبور والذبح لهم والنذر ، والمطاع كإبليس أعاذنا الله منه ، وهو رأس الطواغيت.

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في خاتمة كتابه «الأصول الثلاثة»:

والطواغيت كثيرة ، ورؤوسهم خمسة: إبليس لعنه الله ، ومن عبّد وهو راض ، ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه ، ومن ادّعى شيئاً من علم الغيب^٢ ، ومن حكم بغير ما أنزل الله ، والدليل قوله تعالى ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾^٣. انتهى.

قوله (إبليس لعنه الله) ؛ ذكره الشيخ أول الطواغيت لأنه رأس الدعاة إلى الشرك وإلى الشر ، ومن لم يعبد الله فهو عابد لإبليس ، قال تعالى ﴿لم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين* وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم﴾^٤.
وقد سُمّي إبليس إبليس لأنه أبلَس من رحمة الله ، أي أيس منها.

قوله (ومن عبّد وهو راض) ؛ أي من عبده الناس وهو راضٍ بتلك العبادة التي عبده الناس بها فهو طاغوت ، ووجه كونه طاغوتاً أنه رضي بالكفر رضا قلبياً ، واطمئن لذلك.
وفي قول المؤلف (وهو راضٍ) احتراز وقيد ، لأن من الصالحين من عبّد وهو غير راضٍ عن عبادة الناس له ، كعيسى عليه السلام ، وكعلي بن أبي طالب ، وكالحسين بن علي بن أبي طالب ،

^١ «إعلام الموقعين عن رب العالمين» (١/٥٨ - ٥٩) ، الناشر: دار الكتاب العربي - لبنان.

^٢ ووجه كونه كافراً أنه مكذب لقوله تعالى ﴿قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله﴾ ، وهذا من صنف المُطاعين لأن الناس يصدقونه فيطيعونه فيما يقول لهم.

^٣ سورة البقرة: ٢٥٧ .

^٤ سورة يس: ٦٠ .

القول السديد في شرح شروط كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»

وكبعض العلماء والصالحين المقبورين في أنحاء العالم الإسلامي ، فهؤلاء غير راضين بعبادة الناس لهم ، بالتوجه إليهم بالدعاء والذبح والنذر وغيره من العبادات ، وهذا هو شأن الصالحين كلهم ، وإنما الذي يرضى بعبادة نفسه هم مشايخ الضلال ، الذين يريدون العلو في الأرض ، كفرعون لعنه الله ، وكبعض مشايخ الصوفية ، الذين يرضون بتعظيم الناس لهم ، بالتبرك بهم في حياتهم ، والمجيء إلى قبورهم بعد مماتهم ، ودعائهم ، وطلب الحوائج منهم.

قوله (ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه) ؛ هذا أعظم جرما من الذي قبله ، ورأس هؤلاء فرعون الذي قال للناس ﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾^١ ، وقال تعالى ﴿ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين﴾^٢.

ويدخل في حكم هؤلاء من يدعون الناس إلى عبادة غير الله ، ويُزَيِّنون قولهم ويزخرفونه بالشبهات والأحاديث الباطلة المكذوبة ، كعلماء السوء ، فهؤلاء إخوان إبليس وأقرانه ، ومن طواغيت العالم الكبار ، سواء استجاب الناس لهم أم لم يستجيبوا لهم.

ويدخل فيهم من يوصي بأن يُدفن في مسجد ، أو يُبنى على قبره قُبَّةً أو مشهدا ، فهذا في الحقيقة يدعو الناس إلى تعظيم نفسه ، وقد كان خيرا له أن يجعل وصيته في بناء مسجد أو نشر علم ونحو ذلك.

أقول: ورحم الله علي بن أبي طالب ورضي عنه ، فإنه لما أُتِيَ بالزنداقة - الذين قالوا أنه هو الله - أحرقهم بالنار ، كما روى ابن حجر رحمه الله في «الجزء الثالث» من حديث أبي طاهر المخلص من طريق عبد الله بن شريك العامري عن أبيه قال: قيل لعلي: إن هنا قوما على باب المسجد يدعون أنك ربهم!

فدعاهم فقال لهم: ويلكم ، ما تقولون؟

قالوا: أنت ربنا وحالقنا ورازقنا!

فقال: ويلكم ، إنما أنا عبد مثلكم ، آكل الطعام كما تأكلون ، وأشرب كما تشربون ، إن أطعت الله أثابني إن شاء ، وإن عصيته خشيت أن يعذبني ، فاتقوا الله وارجعوا.

فأبوا ، فلما كان الغد غدوا عليه ، فجاء قنبر^٣ فقال: قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلام. فقال: أدخلهم.

^١ سورة القصص: ٣٨ .

^٢ سورة الأنبياء: ٢٩ .

^٣ قنبر هو مولى لعلي رضي الله عنه.

القول السديد في شرح شروط كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»

فقالوا كذلك.^١

فلما كان الثالث^٢ قال: لئن قاتم ذلك لأقتلنكم بأحبث قتلة.

فأبوا إلا ذلك ، فأمر بفعلة^٣ معهم مرورهم^٤ ، فخذ لهم أهدودا بين باب المسجد والقصر ، وقال: (أحفروا) ، فأبعدوا في الأرض ، وجاء بالحطب فطرحة بالنار في الأهدود وقال: إني طارحكم فيها أو ترجعوا.

فأبوا أن يرجعوا ، فقتلهم فيها ، حتى إذا احترقوا قال:

إني إذا رأيت أمرا منكرا أوقدت ناري ودعوت قنبرا

ثم قال الحافظ: وهذا سند حسن.^٥

^١ أي كقولهم في اليوم الأول.

^٢ أي اليوم الثالث.

^٣ القعلة صفة غالبية على من يعملون في الطين والحفر ونحو ذلك. انظر «لسان العرب».

^٤ المرء هو المسحاة. انظر «لسان العرب».

^٥ «فتح الباري» شرح حديث (٦٩٢٢) ، باختصار يسير.

ورواه ابن عساکر في «تاريخ دمشق» (الناشر: دار الفكر - بيروت) (٤٧٥/٤٢-٤٧٦) في ترجمة علي بن أبي طالب ، والأصبهاني في «طبقات المحدثين بأصبهان» (٣٤٢/٢-٣٤٣) (الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت) عن عثمان بن أبي عثمان قال: جاء أناس إلى علي بن أبي طالب من الشيعة ، فذكره بنحوه.

فائدة: قال السمعاني في «الأنساب» (٣٩٦/٥) (الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت) في النسبة إلى (النصيري):

وهذه النسبة لطائفة من غلاة الشيعة يقال لهم النصيرية ، والنسبة إليها نصيري ، وهذه الطائفة ينتسبون إلى رجل اسمه نصير ، وكان في جماعة قريبا من سبعة عشر نفسا كانوا يزعمون أن عليا هو الله ، وهؤلاء شر الشيعة ، وكان ذلك في زمن علي ، فحذروهم وقال: إن لم ترجعوا عن هذا القول وتجددوا إسلامكم وإلا عاقبتكم عقوبة ما شئتم مثلها في الإسلام.

ثم أمر بأهدود ، وحُفر في رَحبة جامع الكوفة ، فأشعل فيه النار ، وأمرهم بالرجوع فما رجعوا ، فأمر غلامه قنبر حتى ألقاهم في النار ، فهرب واحد من الجماعة اسمه نصير ، واشتهر هذا الكفر منه ، وأن عليا لما ألقاهم في النار التفت واحد وقال: الآن تحققت أنه هو الله ، لأنه بلغنا عن النبي ﷺ أنه قال: لا يعذب بالنار إلا رثها ، وكان علي يرميهم في النار وينشد:

إني إذا أبصرت أمرا منكرا أوقدت ناري ودعوت قنبرا

ولما بلغ ابن عباس ما فعل علي رضي الله عنه قال: لو كنت مكان علي رضي الله عنه كنت أقتلهم وما كنت أحرقتهم. وهذه الطائفة بالحديثة ، بلدة على الفرات.

سمعت الشريف عمر بن إبراهيم الحسيني شيخ الزيدية بالكوفة يقول: لما انصرفت من الشام دخلت الحديثة مجتازا ، فسألوا عن اسمي فقلت: عمر ، فأرادوا أن يقتلوني لأن اسمي عمر ، حتى قلت إني علوي وإني كوفي ، فتخلصت منهم ، وإلا كادوا أن يقتلوني. انتهى كلام السمعاني.

وروى البخاري بسنده عن عكرمة قال: أتني علي رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم ، فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقتهم لنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تعذبوا بعذاب الله) ، ولقتلتهم ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من بدل دينه فاقتلوه). «صحيح البخاري» (٦٩٢٢).

القول السديد في شرح شروط كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»

وعلى هذا سار أئمة الهدى ، قال علي بن عبد الله الطيالسي: مسحتُ يدي على أحمد بن حنبل ، ثم مسحت يدي على بدني وهو ينظر^١ ، فغضب غضبا شديدا ، وجعل ينفض نفسه ويقول: (عمن أخذتم هذا؟!) ، وأنكره إنكارا شديدا.^٢

قوله (ومن ادعى شيئا من علم الغيب) ؛ وجه كونه طاغوتا أنه ادعى مشاركة الله في شيء من صفاته الخاصة به ، وهي علم الغيب ، قال تعالى ﴿قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله﴾^٣ ، وقال ﴿وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾^٤ ، ويدخل في هذا السحرة والكهنة والمنجمون والرّمّالون والذين يقرؤون الكف والفتجان ونحو ذلك ، ويقولون للناس (أنت ستُوفى في زواجك وأنت لن توفى) ، أو يدعون معرفة مكان الضالة ، ونحو ذلك ، والذي يأتي هؤلاء يكون كافرا بنص حديث النبي ﷺ : من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول ؛ فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ .^٥

قوله (ومن حكم بغير ما أنزل الله) ؛ أي: ومن حكم بغير ما أنزل الله فإنه طاغوت ، والدليل قوله تعالى ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا﴾^٦ ، والطاغوت هنا وصف عام لجميع الشرائع والقوانين الوضعية المخالفة للشريعة الإسلامية ، كأعراف الجاهلية والعوائد القبلية والأنظمة الدستورية ونحوها ، التي تتضمن حدودا تعزيرية وعقوبات مخالفة للشريعة الإسلامية ، سواء المتعلقة بعقوبة القتل أو السرقة أو الزنا أو غير ذلك ، فمن حكم بما معتقدا أنها مساوية للشريعة الإسلامية أو أفضل منها أو اعتقد جواز الحكم بها ؛ فهذا كافر لا شك في كفره ، لأنه ساوى الله بغيره في حكمته وفي أمره ، فإن التشريع حق خاص بالله تعالى ، وهو من مقتضيات ربوبيته ، فكما أنه لا يخلق غيره فكذلك لا يأمر غيره ، ﴿ألا له الخلق والأمر﴾^٧ ، فمن حكم بغير

^١ أي بقصد التبرك كما يفعله بعض الناس هداهم الله!

^٢ «طبقات الحنابلة» (٢١٦/١) ، ترجمة رقم (٣١٦) ، الناشر دار الكتب العلمية.

^٣ سورة النمل: ٦٥ .

^٤ سورة الأنعام: ٥٩ .

^٥ رواه أحمد (٤٢٩/٢) ، وحسنه محققو «المسند».

ورواه أبو داود (٣٩٠٤) ، والترمذي (١٣٥) ، والنسائي في «الكبرى» (٨٩٦٨) ، وابن ماجه (٦٣٩) ، بألفاظ متقاربة ليس فيها ذكر العراف ، وهذا لفظ الترمذي: من أتى حائضا أو امرأة في دبرها أو كاهنا ، فصدقه بما يقول ؛ فقد كفر بما أنزل على محمد.

وصححه للألباني رحمه الله.

^٦ سورة النساء: ٦٠ .

^٧ سورة الأعراف: ٥٤ .

القول السديد في شرح شروط كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»

الشريعة الإسلامية معتقدا جواز فعله ، أو أن حكمه أفضل أو مساوي لحكم الله ورسوله فقد كفر عيادا بالله.

وأما من حكم من حُكِّم المسلمون أو من قُضت عليهم بغير ما جاءت به الشريعة الإسلامية معتقدا حرمة ذلك ، ولكنه حكم به اتباعا لهواه ، أو طلبا لرشوة أو محاباة لأحد ؛ فهذا عاصٍ من العصاة ، قد ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب ، ولكنه لا يكفر كحال الأول.

والواجب بكل حال التحاكم لأحكام الشريعة الإسلامية ، فإن الله حكيم خبير رحيم ، يعلم ما يصلح الناس وما يضرهم ، وصدق الله ﴿ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون﴾^١ ، وقال تعالى ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾^٢.

والحاصل أن من آمن بالله ولم يكفر بالطاغوت لا يكون مسلما ، وإنما يكون مسلما إذا جمع بين الإيمان بالله والكفر بالطاغوت ، باعتقاد بطلان الآلهة الباطلة ، وترك عبادتها ، وبغضها ، وبغض أهلها.

فصل في فضل ذكر الله ب «لا إله إلا الله»

هذه بعض الأحاديث الواردة في فضل ذكر «لا إله إلا الله» ، نُعْطِرُ بِهَا بَحْثَنَا ؛ وَنُخْتَمُ بِهَا كَلَامَنَا ، جَعَلْنَا اللَّهَ مِمَّنْ يَحْقُقُهَا بِقَوْلِهِ وَفَعَلَهُ ، فَإِنْ مِنْ حَقَّقَ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ كَانَ لَهُ أَجْرُ ذِكْرِ اللَّهِ بِهَا بِقَدْرِ مَا حَقَّقَهُ مِنْهَا.

وقد تقدم ذكر جملة من الأحاديث فيها بيان أن من قال «لا إله إلا الله» مخلصا وصادقا من قلبه غير شاك فيها دخل الجنة ، وهذه طائفة أخرى من الأحاديث الواردة في نفس الباب:

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال:

من قال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له» ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير» مائة مرة ؛ كانت له عدل عشر رقاب^٣ ، وُكُتِبَتْ لَهُ مِائَةٌ حَسَنَةً ، وَوُحِّيتَ عَنْهُ مِائَةٌ سَيِّئَةٍ ، وَكَانَتْ لَهُ

^١ سورة المائدة: ٥٠ .

^٢ انظر للاستزادة في هذه المسألة كلام للشيخ ابن عثيمين رحمه الله في كتابه «شرح ثلاثة الأصول» ، ص ١٥٤ - ١٥٩ ، الناشر: دار الثريا - الرياض.

وانظر أيضا «دروس في شرح نواقض الإسلام» للشيخ صالح الفوزان ، ص ٩٩ - ١٠٩ ، ط ٧ ، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض.

وكذا «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢/٣٢٦) ، للشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله.

^٣ أي أجر عتق عشر رقاب.

القول السديد في شرح شروط كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»

حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يُمسي ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به ، إلا رجل عمل أكثر منه.^١

وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

من قال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير» عشر مراراً ؛ كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل.^٢

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

لقيت إبراهيم ليلة أُسري بي ، فقال: يا محمد ، أقرئ أمتك مني السلام ، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة ، عذبة الماء ، وأنها قيعان^٣ ، وأن غراسها: سبحان الله ، والحمد لله ، و «لا إله إلا الله» ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.^٤

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

من قال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير» ، أو منح منحة^٥ ، أو هدى زُقاقاً^٦ ؛ كان كمن أعتق رقبة.^٧

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من كان آخر كلامه «لا إله إلا الله» وجبت له الجنة.^٨

قال ابن القيم رحمه الله: ولهذا حرّم الله على النار من شهد أن لا إله إلا الله حقيقة الشهادة ، ومحال أن يدخل النار من تحقق بحقيقة هذه الشهادة وقام بها ، كما قال تعالى ﴿والذين هم بشهاداتهم قائمون﴾ ، فيكون قائماً بشهادته في ظاهره وباطنه ، في قلبه وقالبه ، فإن من الناس من تكون شهادته ميتة ، ومنهم من تكون نائمة فإذا نُبِّهت انتبَهت ، ومنهم من تكون مضطجعة ، ومنهم من تكون إلى القيام أقرب.

^١ رواه البخاري (٦٤٠٣) ومسلم (٢٦٩١).

^٢ رواه البخاري (٦٤٠٤) ومسلم (٢٦٩٣) ، واللفظ لمسلم.

^٣ قيعان جمع قاع ، وهو المكان المستوي الواسع يعلوه ماء ، فيكون كالغدير. انظر «النهاية».

^٤ رواه الترمذي (٣٤٦٢) والطبراني في «الكبير» (١٧٣/١٠) ، وما بين القوسين زيادة للطبراني ، والحديث صححه الألباني في «الصحيحة» (١٠٥).

^٥ المَنِيحة هي الشاة أو الناقة ذات اللبن ، والمعنى: وهبه ذات لبن. انظر «النهاية».

^٦ أي دل ضالاً أو أعمى إلى الطريق ، وهو المعبر عنه بالزقاق. انظر «النهاية».

^٧ رواه الترمذي (١٩٥٧) وأحمد (٢٨٦/٤ - ٢٨٧) والبخاري في «الأدب المفرد» (٨٩٠) ، وصححه الألباني ومحققو «المسند».

^٨ رواه أحمد (٢٣٣/٥) ، وصححه محققو «المسند».

القول السديد في شرح شروط كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»

وهي^١ في القلب بمنزلة الروح في البدن ، فروحٌ ميتة ، وروحٌ مريضة إلى الموت أقرب ، وروحٌ إلى الحياة أقرب ، وروحٌ صحيحةٌ قائمةٌ بمصالح البدن .

فحياة الروح بحياة هذه الكلمة فيها ، كما أن حياة البدن بوجود الروح فيه ، وكما أن من مات على هذه الكلمة فهو في الجنة يتقلب فيها ؛ فمن عاش على تحقيقها والقيام بها فروحُه تتقلب في جنة المأوى ، وعيشه أطيب عيش ، قال تعالى ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * فإن الجنة هي المأوى﴾^٢ ، فالجنة مأواه يوم اللقاء.^٣

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال: من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبد ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم^٤ ، وروحٌ منه^٥ ، والجنة حق ، والنار حق ؛ أدخله الله الجنة على ما كان من العمل.^٦

وفي رواية لمسلم: أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء.^٧

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله ، علمني عملاً يقربني إلى الجنة ويباعدني من النار .

فقال: إذا عملت سيئة فاعمل حسنة ، فإنها عشر أمثالها .

قلت: يا رسول الله ، أفمن الحسنات «لا إله إلا الله»؟

قال: نعم ، هي أحسن الحسنات.^٨

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال:

خير الدعاء دعاء يوم عرفة ، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير».^٩

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

^١ أي كلمة «لا إله إلا الله» .

^٢ سورة النازعات: ٤٠ - ٤١ .

^٣ «الداء والدواء» ، ص ٣٠٢ ، الناشر: دار ابن الجوزي - الدمام ، باختصار يسير .

^٤ معنى أن المسيح كلمة الله أي أن الله خلقه بكلمة (كن) فكان المسيح في بطن أمه مريم . انظر تفسير ابن كثير ، سورة النساء:

١٧١

^٥ معنى أن المسيح روحٌ منه أي من الله ، هو الذي خلقها كسائر أرواح الناس . انظر تفسير ابن كثير ، سورة النساء: ١٧١ .

^٦ رواه البخاري (٣٤٣٥) .

^٧ رواه مسلم (٢٨) .

^٨ رواه أحمد (١٦٩/٥) ، وقال محققو «المسند»: حسن لغيره .

^٩ رواه الترمذي (٣٥٨٥) ، وحسنه الألباني ، وانظر «السلسلة الصحيحة» (١٥٠٣) .

القول السديد في شرح شروط كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»

أفضل الذكر «لا إله إلا الله» ، وأفضل الدعاء «الحمد لله»^١.

● ومن فضائل كلمة التوحيد أن من قالها في الدنيا وصلى وزكى فإنه يُحکم له بالإسلام ، فيكون معصوم الدم والمال ، فلا يُجاهد مع الكفار إذا حصل بين المسلمين وبينهم حرب ، بل هو مسلم يُحسب مع المسلمين ، وحسابه على الله في الآخرة ، فإن كان فعل ذلك صادقا ومخلصا لله تعالى كان ذلك عاصما له من الخلود في النار وموجبا لدخول الجنة ، وأما إن كان فعل ذلك نفاقا ليعصم دمه وماله كان حكمه في الآخرة حكم المنافقين والكافرين ، تحرم عليه الجنة ويتوجب له الخلود في النار أبد الآباد.

ودليل ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله.^٢

ومن فضائلها أن من قالها عند الموت دخل الجنة وإن أصابه من عذاب النار ما أصابه ، أي أنه لا يخلد في النار إن مات مسلما ومات عليها ، والدليل على ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لقنوا موتاكم «لا إله إلا الله» ، فإنه من كان آخر كلمته «لا إله إلا الله» عند الموت دخل الجنة يوما من الدهر وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه.^٣

ومن فضائلها أنه من قالها خالصا من قلبه كان من أسعد الناس بشفاعة النبي ﷺ له يوم القيامة ، وقد تقدم ذكر الحديث الوارد في هذا عن أبي هريرة رضي الله عنه في معرض الكلام على شرط الإخلاص.

^١ رواه الترمذي (٣٣٨٣) ، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١١٠٤).

^٢ رواه مسلم (٢١) ، وفي الباب عن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمر وجابر وأنس بن مالك وغيرهم رضي الله عنهم ، وكلها مخرجة في الصحيح.

^٣ رواه ابن حبان (٢٧٢/٧) ، وصححه الشيخ شعيب الأرنؤوط ، وانظر «أحكام الجنائز» للألباني ، باب: تلقين المحتضر. **فائدة:** يظن كثير من الناس أن الذي ينبغي في التلقين هو مجرد إسماع الميت كلمة «أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله» ، من غير أمرٍ له بطريقة مباشرة أن يقولها ، والصواب أن السنة أن يؤمر بذلك ، والدليل حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ عاد رجلا من الأنصار ، فقال: يا خال ، قل «لا إله إلا الله». فقال: أخال أم عم؟ فقال: لا ، بل خال. فقال: فخبرني لي أن أقول «لا إله إلا الله»؟ فقال النبي ﷺ: نعم.

رواه أحمد (١٥٤/٣) ، وقال الألباني رحمه الله في إسناده: صحيح على شرط مسلم.

انظر هذه الفائدة في كتابه «أحكام الجنائز وبدعها» ، باب: تلقين المحتضر.

خاتمة

هذه هي شروط هذه الكلمة العظيمة «لا إله إلا الله» ، التي خُلقت السماوات والأرض من أجلها ، ومن أجلها بُعثت الرسل ، وأنزلت الكتب ، وقام سوق الجهاد ، وخلق الجنة والنار ، وفقنا الله للعلم بها وتحقيقها والعمل بمقتضاها ، والحذر من الوقوع فيما يناقضها أو يُنقصها من الأقوال والأفعال والاعتقادات ، (فكم من عامي اجتمعت فيه هذه الشروط والتزمها ، ولو قيل له أعدّها لم يُحسن ذلك ، وكم حافظٍ لألفاظها يجري فيها كالسهم وتراه يقع كثيرا فيما يناقضها ، والتوفيق بيد الله ، والله المستعان)^١.

تم الكتاب بحمد الله ، وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليما كثيرا.

^١ قاله الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي رحمه الله في كتابه «معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد» (٥١٨/٢) ، الناشر: دار ابن الجوزي - الدمام.